أسد الشرق

عثمان دِقْنَة

أسامة عبد الرحمن

رقم الايداع: ٢٠١٩/١٦٧٨٩

الترقيم الدولى:٣-٥٣٥-٧٣٨٧-٩٧٧-٩٧٨

مقدمة

عثمان أبو بكر دقنة (١٨٣٦ - ٤ ديسمبر ١٩٢٦)، أحد أتباع وأمراء المهدي في السودان، وكان يشار إليه على أنه من الهدندوة إحدى قبائل البجا مسقط رأسه غير معروف ولكن يقال إن مسقط رأسه كان في سواكن المطلة على البحر الأحمر في شمال شرق السودان.

عاش عثمان في الإسكندرية، بمصر وكان معروفا باسم عثمان علي، انضم إلى ثورة أحمد عرابي بعد فشل الحركة في معركة التل الكبير بتاريخ ١٣ سبتمبر ١٨٨٢، انضم إلى ثورةالمهدي.

خلال هذا الوقت تبلور لقبه دقنة بسبب كثافة لحيته تسلم قيادة جيش قوي حول سواكن وكبد بيكر باشا خسائر فادحة بالقرب من طوكر، جنوب شرق ذلك المكان في ٤ فبراير ١٨٨٤هزمه مباشرة وفى خطوة لتعريف شبابنا بقادة الثورات المضادة للاحتلال الأجنبى للوطن العربى والاسلامى سنحاول كتابة بعص كلمات عن هذا الرجل الذى لا يعرفه كثيرون

اسامه عبد الرحمن

عاش عثمان بين عامى ١٨٣٦م ١٩٢٧م، هو أحد أمراء وقادة الثورة المهدية في السودان وأكثرهم شهرة وحنكة فيما يتعلق بخطط الحرب واستراتيجياتها، فقد خاض العديد من المعارك التي انتصر فيها وحطم خطة ما يعرف بتشكيلة المربع الإنجليزي العسكرية ومهد الطريق لفتح المهدي للخرطوم كتب عنه البريطانيون الكثير من الكتب المشيدة بمهاراته اعتقل في شرق السودان بعد هزيمة المهدية ونقل أسيرا إلى مصر قبل إعادته إلى السودان حيث توفي هناك عام ١٩٢٧

ميلاده:

ولد عثمان دقنة في مدينة سواكن بولاية البحر الأحمر الحالية بشرق السودان حوالي عام ١٨٤٣ م ، ووالده هو أبوبكر دقنة من أسرة الدقناب وأمه تدعى نفيسة ست البنات وهي من البشارياب إحدى بطون قبيلة الهدندوة بشرق السودان وقد اختلفت الروايات في معني كلمة دقنة فهي في بعض الأراء كلمة مشتقة من لفظ دقن أي الذقن أو اللحية باللهجة العربية السودانية كناية على كثافة شعر اللحية، لكن الرأي الراجح هو أن الكلمة مشتقة من لفظ الدقناب وهو اسم عشيرة الدقناب الذين ينتمي إليها عثمان دقنة

نسبه:ينتمي عثمان دقنة إلى سلالة العباسيين الذين حكموا مصر من عام ٦٦١ من الهجرة وحتى سنة ٩٢٣ هجرية ومقر أسرته جزيرة سواكن، أما نسبه فهو كالتالي:- عثمان بن أبو بكر بن علي بن محمد الملقب بدقنة بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن رجب بن محمد خليل بن عبدالله بن عبدالله الملقب بالتركي بن الفضل بن الحسن بن إبراهيم بن سعيد بن الفضل بن الخليفة المستعين بالله بن الخليفة محمد المتوكل على الله بن المعتضد بالله بن المستكفي بالله بن الحاكم بأمر الله بن الحسن القبي بن الأمير علي بن الأمير أبي بكر بن الراشد بالله بن المسترشد بالله بن المستظهر بالله بن المقتدي بأمر الله بن الأمير محمد ذخيرة الدين محمد بن القائم بأمر الله بن القادر بالله بن الأمير إسحاق بن المقتدر بالله بنالمعتضد بالله بن ولي العهد طلحة الموفق بن المتوكل بالله بن المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبوجعفر المنصور بن محمد بن علي بن حبر الأمه عبد الله -رضي الله عنه- بن العباس -رضي الله عنه- بن عبدالمطلب بن هاشم

النشأة:نشأ عثمان دقنة في كنف أبويه ووسط أسرة تعمل بالتجارة وتهتم بالتعليم فقد كانت أمه معلمة قرآن، الأمر الذي جعله يحفظ القرآن ويتعلم الكتابة والقراءة منذ صغره وكان أخواه عمر وعلي وابن عمه أحمد يعملون بالتجارة بين سواكن ومدينة جدة بالحجازكانت تجارتهم رائجة

في وقت كانت فيه سواكن، مسقط رأس دقنة ومهد صباه، في أوج ازدهارها في ذلك الزمن وحياتها ميسورة وسهلة حتى تم ضمها إلى مصر عام ١٨٦٣ م وأرسل إليها الخديوي إسماعيل باشا حكاماً من بينهم ممتاز باشا الذي اتبع سياسة متشددة رغم قيامه بإدخال زراعة القطن في المنطقة وعمل على تشجيع سكانها على زراعته، الأمر الذي أحدث فيها تغييرات اجتماعية وقد عاصر دقنة تلك التطورات وما صاحبها من تشدد من قبل الحكام خاصة في جمع الضرائب من السكان وذكرت بعض المصادر حادثة أثرت في نفسية الشاب دقنة آنذاك عندما تم تعذيب أحد مواطني المدينة أمام الملأ لإتهامه بقتل أحد المسؤولين الأوروبيين وتحمل الرجل العذاب حتى مات وفي عام ١٨٧٧م ألقت السلطات القبض على عثمان دقنة وعلى شقيقيه عمر وعلي بالقرب من مرسى الشيخ برغوث بورتسودان حاليا بتهمة الاتجار بالرقيق تحت ستار التجارة الحرة، وحُكُم عليهم بالسجن ومصادرة ممتلكاتهم وعاد الأخوة الثلاثة اثر انقضاء فترة العقوبة وضياع ثروتهم إلى سواكن وعندما سمع عثمان بثورة عرابي في مصرظن أن الوقت قد حان لمناهضة الحكام الأتراك العثمانيين فبدأ في تأليب السكان ضدهم وحاول إقامة تنظيم للمقاومة في المنطقة ولكنه لم يفلح في ذلك فقد تبعه عدد قليل جدا من الناس غير أن كبار رجالات المدينة من تجار وزعماء العشائر رأوا أن يبعدوا مدينتهم المعتمدة على التجارة عن أية مشاكل ومصادمات مع

السلطة فتكون مجلس من الأعيان قرر طرد عثمان دقنة من مدينة سواكن وعلى اثر هذا القرار غادرها إلى مدينة بربر شمال السودان وتزوج هناك وامتهن في البداية مهنة سقي الماء ثم تحول وبمساعدة أصهاره إلى التجارة مرة ثانية

انضمامه إلى المهدية

وفي تلك الأثناء ظهر محمد أحمد المهدي في غرب السودان يدعو إلى الجهاد ضد التركية السابقة التي كان السكان يشكون من ضرائبها الباهظة وفساد موظفيها وخروجهم عن أسس الدين وأصوله وتنامت إلى مسامع عثمان دقنة أنباء المهدي وانتصاراته العسكرية السريعة وبعد انتشار خبر سقوط مدينة الأبيض على يد المهدي توجه دقنة إلى كردفان والتقى بالمهدي واستمع إلى دعوته وأعلن مبايعته له باعتباره المهدي المنتظر وخليفة رسول الله فيما باركه المهدي وعيّنه اميراً علي شرق السودان وحمّله رسائل إلى المسؤولين هناك وزعماء القبائل والمشايخ كالشيخ الطاهر المجذوب والشيخ أبوبكر دقنة، والده، وغيرهم من اتباع الطرق الصوفية بما فيها الختمية بزعامة آل الميرغني واثر عودته إلى الشرق استجاب له الشيخ الطاهر المجذوب الذي ينحدر من سلالة المجاذيب بالدامر وبدأ يبشر معه بالمهدية في شرق السودان ابتداء من أغسطس ١٨٨٣م وتحريض قبائل البشاريين والأمرأر علي الثورة ضد الحكام ثم

توجه الاثنان إلى منطقة سنكات فتجاوبت معهما قبائل البجة وانضم عدد كبير من رجالها إلى الثورة المهدية

ثورته في الشرق ومعاركه

حصار سنكات وطوكر

قرر دقنة أن يشعل فتيل ثورته بهجوم مباغت على مدينة سنكات ولكن الحامية العسكرية فيها ردته على أعقابه، ومع ذلك ظل يناوش الحامية التي أرسل قادتها تجريدة قوامها ١٥٦ فردا بقيادة البكباشي محمود أفندي خليل لإيقافه والتقى دقنة بتلك القوة في معركة صغيرة في خور إيتت انتصر فيها دقنة الذي قرر بعد ذلك فرض حصار محكمٍ على الحامية حتى سقطت المدينة فقام بضمها إلى دولة المهدية في يوم الجمعة ٨ فبراير ١٨٨٤م

معارك ألتيب

كما حاصر دقنة حامية طوكر أيضا والتقى بمقاتلي الأتراك المصريين في معركة التيب الأولى في ٥ نوفمبر / تشرين الثاني ١٨٨٣م وقتل فيها القنصل البريطاني مونكريف تلتها معركة التيب الثانية التي وقعت في يوم ٤ فبراير وقتل فيها حوالي ٤٥٠٠ جندي من الجيش الإنجليزي

بقيادة فالنتين بيكر باشا، بينما لقي ٣٠٠ من جنود دقنة مصرعهم أما معركة التيب الثالثة واقعة الساحل الثالثة، كما تسمى أحياناً فقد حدثت في يوم الجمعة ٢٩ فبراير ١٨٨٤ وشارك فيها من الجيش الإنجليزي حوالي ٢٤ ألف جندي بقيادة الجنرال جيرالد جراهام وسقط منهم ما يزيد عن ٣ آلاف قتيل بينما كان عدد مقاتلي الأنصار لا يزيد عن ٣ ألاف مقاتل مات منهم في المعركة حوالي ١٥٠٠

معارك تاماي

قاد القوات الإنجليزية في معركة تاماي الثانية الجنرال جراهام أيضا ووقعت في ١٢ مارس ١٨٨٤ ودارت رحاها بين ٢٠ ألف مقاتل إنجليزي مسلحين بمدافع ميدان من طراز جاردن ومسدسات وبنادق من طراز مارتيني هنري ذات الطلقة الواحدة، وقتل منهم ثمانية آلاف بينما سقط قرابة الألفين من ثوار دقنة الذين لم يزد عددهم عن ٦ آلاف مجاهد مسلحين بالخناجر المعقوفة والرماح والسيوف وبضع بنادق من طراز مارتيني هنري

وبتوالي المعارك وعمليات الحصار رأي بغض قادة الحاميات المصرية بشرق السودان الإنسحاب من حامياتهم والإحتماء في حامية سواكن الكبيرة وحاول قائد حامية سنكات محمد توفيق الإنسحاب ولكنه ما أن

غادر المدينة بجنوده في صبيحة ٨ فبراير ١٨٨٤م انقض عليهم الأمير عثمان دقنة ووقعت معركة وبعد اسبوعين من تلك الواقعة استسلمت حامية طوكر لتفادي المزيد من المجازر

معركة النخيلة والخلاف مع الأمير محمود ود أحمد

عندما بدأت القوات الإنجليزية المصرية تحركها نحو أم درمان في ربيع عام ١٨٩٨ إبان الحملة العسكرية بقيادة هربرت كتشنر لاسترداد حكم السودان وجه الخليفة عبد الله التعايشي الأمير دقنة بالإلتحاق بالأمير محمود ود أحمد لصدهم عند نهر عطبرة شمالا ووقف تقدمها ووافق الخليفة على خطة عثمان دقنة بتطويق كتشنر من خلال التحرك إلى عطبرة، ولكن محمود ود أحمد رفض الفكرة واقترح إنشاء معسكر دفاع محصن في عطبرة وبذلك أصبح جيش المهدية هدفا ثابتا لكتشنر وفي النخيلة أو معركة عطبرة كما تسمى، أطلق كتشنر وابل من قذائف المدافع على قوات محمود ود احمد تلاه هجوم سريع عليها مما أدى إلى انهيار مواقعها وتمكن دقنة مع بضعة آلاف من المحاربين من التراجع إلى الجنوب فيما لقي معظم قوات محمود ود أحمد مصرعه وتم أسر ما تبقى بمن فيهم محمود ود أحمد نفسه الذي قبض عليه جنود سودانيون تابعون للواء المصري

معركة كرري

قاتل دقنة في عام ١٨٩٩ في معركة كرري المصيرية في خور شمبات، وتراجع اثر الهزيمة مع الخليفة وأصيب في معركة أم دبيكرات بجراح، وكان الأمير الوحيد الذي تمكن من الهرب واستمر في المقاومة قبل القبض عليه

قائمة المعارك التي خاضها

معركة سنكات أوكاك١٥أغسطس ١٨٨٣

معركة قباب غرب اركويت ١٩ سبتمبر ١٨٨٣

معركة أبنت سنكات ١٦ أكتوبر١٨٨٣

معركة التيب الأولى غرب طوكر ٤ نوفمبر ١٨٨٣

معركة تاماي الأولى غرب سواكن ٢ ديسمبر١٨٨٣

معركة التيب الثانية غرب سواكن ٤ فبراير ١٨٨٤

معركة سقوط سنكات سنكات ٨ فبراير ١٨٨٤

معركة سقوط طوكر طوكر ٢٠ فبراير ١٨٨٤

معركة التيب الثالثة قرية التيب ٢٩ فبراير ١٨٨٤

معركة هشيم قرب سواكن ٢٠ مارس ١٨٨٥

معركة توفرك قرب سواكن ٢٢ مارس ١٨٨٥

معركة سقوط كسلا كسلا ٣٠ يوليو ١٨٨٥

معركة كونيت قرب كسلا ٢٣ سبتمبر ١٨٨٥

معركة هندوب قرب سواكن ١٧ يناير ١٨٨٨

رد فعل الحكومة التركية المصرية

عندما أدرك الخديوي تعاظم قوة عثمان دقنة قام بتعيين ضابط بريطاني هو الميجور جنرال لواء فالنتين بيكر من سلاح الفرسان البريطاني وكان من الضباط الأكفاء الذين عملوا في جنوب أفريقيا وحرب القرم و الحرب البروسية الفرنسية وصل بيكر إلى سواكن في ديسمبر ١٨٨٣م وكان دقنة يحاصر مدينة طوكر في تلك الأثناء، فتحرك بيكر بقوة تضم في صفوفها باشبوزق وجندرمة مصريين وجنود من سلاح الفرسان وذلك

لفك الحصار عن طوكر وانتظمت القوة في هيئة ما عرف بالمربع البريطاني التكتيكي وهو عبارة عن أربعة خطوط على الجهات الأربع تتكون من جنود يحملون بنادق ومدافع وعادة ما تجمع المؤن في الداخل

وبدلاً من المواجهة المباشرة واقتحام المربع كان دقنة يقوم بالمناورة واستدراج العدو إلى كمائن أُعِدت مسبقاً من خلال المناوشة والانسحاب السريع وهو ما حدث مع قوات بيكر عندما قام باستدراجها حتى تمكن من إدخالها إلى قرية تسمى ألتيب وهناك انهال عليها فرسان قبيلة الهدندوة وقضوا عليها في معركة فرّ خلالها بيكر مع بعض حرسه إلى مدينة سواكن المحصنة حيث أرسل بعد أسبوع من فراره رسالة للورد كرومر بالقاهرة يقول له: لم يحاول الجنود القتال مطلقاً فقد القوا اسلحتهم ولاذوا بالفرار وبعضهم ترك نفسه ليُقتَل دون مقاومة أكثر من ألفين منهم قتلوا والأوربيين أيضا عانوا كثيرا

وعندما مارس الاعلام والرأي العام الإنجليزي ضغوطا علي وليم جلادستون رئيس الوزراء ليرد كرامة بريطانيا حيال الهزائم التي مني بها ضباطها في شرق السودان على يد الدراويش أصدر جلادستون أمره إلى الأدميرال السير وليم هوايت قائد الأسطول البريطاني بالبحر الأحمر بأن يجمع قواته ويرسلهم إلى سواحل السودان لمحاربة عثمان دقنة وفي فبراير ١٨٨٤ وتم انزال مشاة البحرية البريطانية على سواكن مع تأمين

من سفن أسطول البحر الأحمر البريطاني وفي مقدمتهم المدمرة الإنجليزية نسر جلالة الملكة

وضمت الحملة التي كان هدفها استعادة كرامة الجيش البريطاني وهيبته وتأديب قوات عثمان دقنة التي حطمت تلك الهيبة ومن ثم مساعدة الجنرال تشارلز جورج غوردون المحاصر في الخرطوم من قبل جيش المهدي، ضباطاً ذو خبرة واسعة من بينهم الجنرال سير جيرالد غيرهام الذي يحمل وسام صليب فكتوريا والكولونيل هربرت ستيوارت الذي اشتهر في معركة التل الكبير التي انهزم فيها عرابي في مصر والكولونيل فردريك برنابي قائد فرسان الحرس الملكي البلوز واللورد شارلس بيريز فورد من قادة الأسطول البحري الملكي قسم القوة إلى ثلاثة ألوية فقط اثنان مشاة وواحد من الخيالة

خرج جراهام بقواته من ميناء ترينكتات الصغير على هيئة المربع الإنجليزي كانت الواجهة الأمامية للمربع تتكون من الهايلاندرز والواجهة الخلفية من البلاك ووتش والواجهة اليسرى من المارينز واليوركشير واللانكشير وكونت قوات الآيرش وتم تأمين المربع بمدافع من بينها مدفع جاتلينج

تأهب دقنة لملاقاة هذا الجيش فأمر قائديه مدني وعبدالله بن الحسن بالمرابطة في الاطلال القائمة علي قرية التيب واتخاذها كمواقع للرماية وكان لقوات عثمان دقنة مدفعا واحدا من طراز جاتلينج وبضعة مدافع ميدان غنموها من قوات بيكروبعد معركة التب وصف جراهام ما حدث وقال:مجموعة ضخمة من الوطنيين جاءت كسيل متدفق وهجمت بعزيمة لا تلين علي كتيبة اليوركشير واللانكشير وكتيبة المرتفعات الاسكتلندية الحرس الأسود مما جعل المربع ينهار ويتخبط في فوضى تامة وقد تمكن العدو من الاستيلاء علي مدافع لواء البحرية التي أمنها رجالها ووقفوا بجانبها حتى النهاية وكتب قائلا بعد معركة تاماي: خسائرنا كانت فادحة، فكثير من الرجال الشجعان من الرويال هايلاندرز واليوركشير واللانكشير قدموا حياتهم لإنقاذ شرف وسمعة وحداتهم، وخسائر العدو بلغت أربعة آلاف ما بين قتيل وجريح، ولكن السودانيين وكما حدث من قبل انسحبوا بهدوء ونظام جيد، مقدمين صورة مشرفة عن أنفسهم، وكان من الواضح انهم مصممون علي القتال مرة أخرى

استرداد جراهام بعض مدن شرق السودان

ورغم خسارتها الفادحة تمكنت قوات جراهام من استرداد بعض مدن الشرق الأمر الذي قوبل بإرتياح من قبل الإنجليز لكنها لم تستطع الوصول إلى الخرطوم لإمداد الجنرال جوردون كما أنها انسحبت في

أبريل ١٨٨٤ إلى القاهرة واستولى عثمان دقنة علي الشرق مجددا وأرسل للمهدي قائلا:لقد قذف الله الرعب في قلوب الانجليز فولوا مدبرين

حامية سواكن

كانت سواكن هي المدينة الوحيدة التي لم يتمكن دقنة من ضمها للمهدية بسبب الحامية البريطانية التي تحرسها بضباطها البريطانيين وبدعم من مدفعية بعض بوارج الأسطول الملكي البريطاني بالبحر الأحمر

قطع الطريق أمام حملة انقاذ جوردون

شارك عثمان دقنة في حرب أخرى جديدة ضد الإنجليز بقيادة لورد وليسلي في شمال السودان بالقرب من عطبرة وذلك بهدف قطع الطريق عليهم ومنع وصولهم المبكر إلى الخرطوم المحاصرة ولم تستطع حملة الإنقاذ الوصول في الوقت المناسب وقتل العديد من قادتها خلال تحركها نحو الخرطوم فعادت ادراجها إلى بريطانيا بعد سقوط الخرطوم في يد المهدي ومصرع جوردون في يناير ١٨٨٥م

نتائج ثورة دقنة ودوره في تعزيز الثورة المهدية

أهم نتائج ثورة عثمان دقنة في شرق السودان هي تمكنه من قطع طريق سواكن ـ بربر ـ الخرطوم وقطع خط التلغراف بين سواكن وكسلا ولقد تزامنت حملات الأمير عثمان دقنة علي سواحل البحر الأحمر بالقضاء علي الحاميات التركية المصرية التي كانت تحت إمرة ضباط إنجليز في الوقت نفسه الذي تحركت فيه حملة الكولونيل وليم هكس، قائد أركان الجيش المصري بالسودان، غرباً للقضاء على المهدي في معركة غابة شيكان وقام دقنة بقطع أي مدد قد يأتي من منافذ البحر الأحمر إلى الكولونيل هكس باشا الأمر الذي ساعد قوات المهدي في إيقاع الهزيمة بالحملة في عام ١٨٨٣م وإبادة جنودها كلهم في معركة علق بالقول عليها اللورد فيتز موريس في جلسة مجلس اللوردات البريطاني في نوفمبر١٨٨٣م وقال: لم يفن جيش بهذه الطريقة منذ أن هلك جيش فرعون في البحر الأحمر

وحاول المصريون الأتراك بقيادة الإنجليز فك الحصار الذي فرضه دقنة علي طوكر وإبعاد الخطر عن ميناء سواكن ولكنهم لم ينجحوا فقد وقعت طوكر وسنكات في قبضة عثمان دقنة وهكذا تمكن عثمان دقنة من تحرير شرق السودان من التركية السابقة ووضعه تحت راية المهدية في الفترة بين سنة ١٨٨٦م ـ ١٨٨٧ م ماعدا حامية سواكن التي ظلت

محاصرة وساهم بذاك في تسهيل قتال الأنصار في مناطق السودان الأخرى

فكره:

ظهر تأثره بمحي الدين بن عربي وأحمد ابن إدريس وكرر ذكرهم في العديد من منشوراته، فقد تأثر بالصوفية من خلال أخذ البيعة والإيمان بكرامات الأولياء الصالحين كما أثرت به في اعتقاده بانه المهدي المنتظر وتلك الفكرة التي ادعاها لم يقرها عديد من علماء عصره، ادعى الاجتماع مع النبي يقظة لا مناما وكفر معارضيه وجعل الإيمان به من شروط الإسلام، استباح دماء من لم يؤمن به وسبى نساءهم وغنم أموالهم كرر كثيرا الدعوة إلى الزهد والثقة بالله وذكر خواء الدنيا وفناءها وحض اتباعه على لبس الخلق والمرقع من الثياب، منع النساء عن الذهب والفضة وشجعهن على منع الشتم والألفاظ المسيئة منعا باتا، وتشدد في منع الدخان والخمر والحشيش، بسط اجراءات الزواج ومنع الرقص والمعازف وغلاء المهور والبذخ في الولائم، وبالمثل فقد منع النياحة على الأموات، أحرق كتب المذاهب وأجبر الناس على قراءة راتبه
برغم حياته القصيرة ١٨٤٣-١٨٨٥ خلف كما هائلا من الخطابات والمنشورات، كما كان يعقد المجالس التي يذاكر فيها بالعلوم الدينية وقد

أخرجت آثاره في سبع مجلدات ضخمة بتحقيق الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم

هروبه

بعد هزيمة الجيوش المهدية في معركة كرري وفرار الخليفة عبد الله التعايشي بالتراجع مع بعض قواته غرباً لمواصلة الكفاح لحق به الأمير عثمان دقنة بمن معه من رجال وعندما وصلت الأنباء بمقتل الخليفة أمر دقنة جنوده من أهل الشرق بعبور النيل من الدويم والتوجه نحو رفاعة ومنها إلى الشرق عبر سهول البطانة أما هو فقد تنكر وأخذ يتنقل بين رفاعة وغيرها من المناطق الأخرى وبعث إلى أهله في طوكر ليعدوا العدة له لتهريبه إلى بلاد الحجاز، وأعدوا له ثلاث قوارب واحدة في ترنكتات والثانية في هيدوب والثالثة في شمال عقيق

اعتقاله ونفيه

وصل خبر وجود الأمير عثمان دقنة في الشرق إلى الإنجليز الذين أعلنوا عن جائزة كبيرة لمن يدلي بمعلومات عن مكانه، وعن طريق الوشاية علم مأمور سواكن بذلك فتوجه إلى مكان مخبئه علي رأس قوة من الشرطة وتمكن من أسره ونقل دقنة مكبلاً بسلاسل الحديد إلى سواكن في عام ١٩٠٠ م، الأمر الذي أثار غيظ أهله الذين خرجوا وضربوا طبول

الحرب لمحاربة معتقليه وتحريره من الأسر وسارعت السلطات بتهدئة الجموع ووعدتهم باحترام مكانته كأمير وإخضاعه لمحاكمة عادلة، وسرعان ما تم نقله إلى مصر في ١٨ يناير ١٩٠٠ وأودع أولاً في سجن رشيد ثم في دمياط وفي ديسمبر ١٩٠٨ م نقل مجدداً إلى سجن وادي حلفا بالسودان التمس عثمان دقنة في عام ١٩٢٣ م من حكومة الحكم الثنائي السماح له بأداء فريضة الحج وقوبل الطلب في البداية بالرفض، لكن الحكومة البريطانية وتحت ضغوط برلمانية قادها حزب الأحرار البريطاني في لندن في عام ١٩٢٤م عادت وسمحت لدقنة بالذهاب إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج

ترك هذا الأمر أثرا عظيماً في نفس عثمان دقنه الأمر الذي حدا به لمحاولة تأليب الناس في سواكن على السلطة التركية القائمة ، غير أن أهل الرأي في سواكن رأوا أن يبعدوا الفتن من مدينتهم التي تعتمد على التجارة التي ترعاها الإدارة القائمة فتكون مجلس من أعيان المدينة وقرر المجلس طرد عثمان دقنه من مدينة سواكن على أثر هذا القرار غادر عثمان دقنه سواكن إلى بربر حيث استقر وتزوج هناك، وبمساعدة أصهاره استطاع عثمان أن يعود إلى التجارة

وفي عام ١٨٨٢م رجع إلى سواكن في مهمة تجارية حين حاول أن يقيم تنظيم لمقاومة السلطات القائمة إلا أنه فشل في ذلك الأمروتنامت أنباء

المهدي وانتصاراته فتوجه عثمان إلى كردفان وبايع المهدي وتم تعيينه أميراً على شرق السودان

بدأت حملات الامير عثمان دقنة علي سواحل البحر الاحمر بالقضاء علي الحاميات التركية المصرية التي كانت تحت امرة ضباط انجليز في نفس الوقت الذي تحركت فيه حملة الكولونيل وليم هكس قائد اركان الجيش المصري بالسودان غربا لملاقاة قوات المهدي في غابة شيكان وقد عمل الامير عثمان علي قطع اي مدد من منافذ البحر الأحمر للكولونيل هكس مما ساعد قوات المهدي في هزيمة هذه الحملة عام ١٨٨٣م فى معركة شيكان وابادة كل جنودها في ملحمة علق بالقول عليها اللورد فيتز موريس في جلسة مجلس اللوردات البريطاني نوفمبر ١٨٨٣م لم يفن جيش بهذه الطريقة منذ ان هلك جيش فرعون في البحر الاحمر وفي تلك الاثناء كانت جميع مدن الشرق تقع تحت رحمة قوات عثمان دقنة من قبائل الهدندوة الشجعان وقد بلغ عددهم في مطلع عام ١٨٨٤م ١٨٠٠٠ مقاتل منهم حوالي الف من حملة البنادق و الباقي من حملة السيوف المرعبين وقد نالوا اعجاب اعدائهم من الجيش الانجليزي الذين اطلقوا عليهم اسم فزي وزي وقد قام كبلينج شاعر الانجليز الاشهر في ذلك الوقت بتخليد اولئك البواسل في قصيدة عبرت عن نظرة الجنود

البريطانيين لأولئك المقاتلين يقول فيها: ارفع اليك التحية يا فزي وزي وانت في ديارك هناك في السودان

انت مع كونك هزيل وجاهل الا انك محارب من الطراز الاول

التحية لك ايها الفزي وزي بشعر رأسك الخشن الاشعث الهائج

ايها العظيم الاسود المعدم لأنك حطمت المربع البريطاني

كثيرا لي وسام فكتوريا كروس والكولونيل فردريك برنابي قائد فرسان الحرس الملكي البلوز واللورد شارلس بيريز فورد من قادة الاسطول البحري الملكي وغيرهم من الضباط الانجليز اصحاب الخبرة وتولي القيادة جيرهام الذي حشد كل القوة في ثلاثة الوية فقط اثنان مشاة وواحد من الخيالة وكان هدف الحملة استعادة كرامة و هيبة الجيش البريطاني و تأديب قوات عثمان دقنة ومن ثم مساعدة حامية الخرطوم التي يقودها الجنرال غوردون في مواجهة جيش المهدي

قاد جراهام قواته خارجا من ميناء ترينكتات الصغير في تشكيل من المربع الانجليزي المعروف الواجهة الامامية من الهايلاندرز والخلفية من البلاك ووتش والواجهة اليسري من المارينز واليوركشير واللانكشير وكونت قوات الايرش وبنادق الملك الواجهة اليمني وارسل خيالة

استطلاع من الفرقة العاشرة هوصار بينما ظلت بقية الفرقة العاشرة هوصار والفرقة التاسعة عشر هوصارمن الخيالة في الخلف وتم تأمين اركان المربع بمدافع جاتلينج وجاردنر الرشاشة ومدافع الميدان ٧ رطل كانت عيون عثمان دقنة تراقب تحرك الجيش البريطاني فأمر قائديه مدني وعبدالله بن الحسن بأحتلال الاطلال القائمة علي قرية التيب واتخاذ مواقع الرماية وكانت قوات عثمان دقنة تملك مدفعا واحدا من ماركة جاتلينج وبعض القطع من مدافع الميدان كروب استولوا عليها من قوات بيكر ومعظم رجاله مسلح ببندقية ماركة رمينجتون-٤٠ بطلقة واحدة عندما ظهر تشكيل جرهام الضخم زاحفا علي انغام موسيقي القرب من الوحدات الاسكتلندية بدأت المعركة في ظهيرة ٢٩ فبراير ١٨٨٤ بقذيفة مدفع من ناحية قوات دقنة من علي بعد الف ياردة وحققت اصابات ناجحة في المربع الانجليزي احتمي المشاة البريطانيين بالسواتر الارضية ولم يتقدموا الا بعد ان اسكتت نيران مدفعية دقنة تقدم المربع تحت ساتر من القصف المدفعي ناحية اليسار للالتفاف حول قوات دقنة و هنا تجلت عبقرية عثمان دقنة بأقتحامه للمربع لحظة تحركه عبر جنود له كامنيين داخل الاودية وتلاحموا مع الانجليز في قتال رهيب اما قوات الخيالة من الهوصار فسرعان ما وجدوا انفسهم وسط مقاتلين الهدندوة المختبئين حول الشجيرات وتعرضوا لهجوم شرس من حاملي السيوف و الحراب وكان بعض من فرسان الهدندوة ينطرحوا ارضا ليسقطوا

الاحصنة بضرب سيقانها لم تكن خسارة الانجليز من القتلي في هذه المعركة اكثر من قتلي الهدندوة الا انهم علموا انهم يحاربون مقاتلين من طينة اخري وتكررت المعارك بين الجانبين في سنكات وطماي وغيرها من المعارك تعودت فيها قوات دقنة على اقتحام مربع الجيش البريطاني واعمال القتل والفوضي داخله فبعد معركة التب قال جراهام: مجموعة ضخمة من الوطنيين جاءت كسيل متدفق وهجمت بعزيمة لا تلين علي كتيبة اليوركشيرز واللانكشيرز مما جعل المربع ينهار ويتخبط في فوضي تامة وقد تمكن العدو من الاستيلاء علي مدافع لواء البحرية التي امنها رجالها ووقفوا بجانبها حتي النهاية وكتب قائلا بعد معركة طماي: خسائرنا كانت فادحة فكثير من الرجال الشجعان من الرويال هايلاندرز واليورك واللانكشير قدموا حياتهم لأنقاذ شرف وسمعة وحداتهم وخسائر العدو بلغت اربعة الف ما بين قتيل وجريح ولكن السودانيين وكما حدث من قبل انسحبوا بهدوء ونظام جيد مقدمين صورة مشرفة عن انفسهم وكان من الواضح انهم مصممون علي القتال مرة اخري

لقد نجح عثمان دقنة وجنوده فيما اخفق فيه الفرنسيون والروس علي السواء وهو اختراق المربع الانجليزي وكانت عبقرية دقنة في اختراقه لهذا المربع ترتكز علي المناوشة واستدراج العدو مع الهجوم عليها في وقت تحرك المربع والتركيز علي الهجوم من المؤخرة مع اقامة الكمائن

حول مسار تحرك العدو كل ذلك مع الاعتماد علي سرعة الكر والفر ساعده علي ذلك خفة قواته المهاجمة وبسالتهم وعندما تدرس الان نظرية الاختراق من مؤخرة العدو في كلية الاركان في كامبرلي تذكر تكتيكات الامير دقنة كنموزج في معاركه في التيب و طماي وتوفريك وخور شمبات

لقد استردت قوات جراهام بعضا من مدن الشرق مما اسعد الانجليز والملكة كاسترداد لشرف وسمعة جيشهم ولكن لم يستطع الوصول للخرطوم لأمداد الجنرال جوردون وسرعان ما انسحبت قوات جراهام في ابريل ١٨٨٤ للقاهرة واستولي عثمان دقنة علي الشرق مجددا وارسل للمهدي قائلا:لقد قذف الله الرعب في قلوب الانجليز فذهبوا

سرعان ما حاصرت قوات المهدي الجنرال جوردون بالخرطوم وقامت بريطانية بأرسال حملة اخري عن طريق مصر لأنقاذ جوردون وذلك بعد ضغط شديد من الملكة نفسها علي جلاديستون الذي كان لا يرغب في الغوص اكثر من ذلك في مستنقع السودان بل صرح قائلا في مجلس العموم : ان ارسال قوات الي السودان سيكون بمثابة حرب من غزاة علي شعب يناضل لينال حريته ويكافح بحق ليكون حرا فأرسلت الملكة فكتوريا تقرع رئيس وزراءها بمذكرة كتبها سكرتيرها الخاص:ان جلالة الملكة منفعلة جدا بخصوص السودان وترغب ان تقول انها تعتقد ان

لطمة قوية يجب ان تسدد لتقنع اولئك المسلمين بأنهم لم يهزمونا انهم همج ولن يستطيعوا الوقوف في وجه قوات نظامية جيدة التسليح والتدريبان الملكة ترتعد خوفا علي سلامة الجنرال جردون اذا ما اصابه اي شئ فالنتيجة ستكون مروعة وازداد الضغط علي جلادستون بأرسال الملكة له تقول: بحق شرف الحكومة والامة يجب عدم التخلي عن جوردون كما اخبره اللورد هارتنجتون وزير الحربية بأنه وعد الشعب بأنقاذ جوردون وان شرفه الشخصي ووفاءه بالوعد قد وضعا علي المحك فما كان من عثمان دقنة الا ان يشارك في حرب جديدة ضد الانجليز بقيادة لورد وليسلي مرة اخري في شمال السودان بالقرب من عطبرة حتي يقطع عليهم الطريق للوصول للخرطوم المحاصرة وسرعان ما سقطت الخرطوم في يد جيوش المهدية في يناير ١٨٨٥م وقتل الجنرال جوردون لم تستطع حملة الانقاذ الوصول في الوقت المناسب و قتل العديد من قادتها خلال تحركها نحو الخرطوم فعادت ادراجها الي بريطانيا

اصبح السودان بعد ذلك دولة مستقلة ولم تنسي بريطانيا تمرغ وجهها في التراب السوداني فعادت بعد اربعة عشر عاما بجيوش جرارة بقيادة الجنرال كتشنر وحارب السودانييون كما عرف عنهم بكل شجاعة و وقف الامير عثمان دقنة بقواتة يشد من ازر جيوش المهدية بقيادة الخليفة عبد الله التعايشي ومات اغلب المقاتلين السودانيين في معارك مثل

كرري وام دبيكرات بعد ان واجهوا اسلحة رشاشة لم يعتادوها حصدتهم حصدا فوقع عشرات الالاف قتلي بكل شرف و شجاعة حتي قال عنهم رئيس الوزراء البريطاني تشرشل الذي كان اصغر ضابط في هذه الحملة في كتابه عن تلك المعارك المسمي حرب النهر قال: انهم اشجع من مشي علي وجه الارض كانت معركة كرري هي بداية لأستعمار انجلترا للسودان قال عنها جورج ستيفن في كتابه مع كتشنر الي الخرطوم : لم تكن معركة انما كانت مذبحة كما قال فيه ايضا: لقد كان رجالنا رائعين ولكن السودانيين فاقوا حد الروعة انه أضخم واعظم واشجع جيش قاتل ضدنا ابدا الخسارة الوحيدة الملموسة للجيش الانجليزي كان من خلال كمين علي حافة النهر اقامه مقاتلي عثمان دقنة لسلاح الفرسان البريطاني فاوقعوا فيهم قتلي وبعد سنوات من تلك الواقعة سأل تشرشل احد قادة السفن المدرعة كابتن بيتي الذي شارك في معركة كرري فأجابه لقد رايت من ظهر السفينة كمين عثمان دقنة ولم افهم غرضه الي ان رايتكم تندفعون نحوه وخفت ان اطلقت نيران المدافع الرشاشة ان تصيبكم

فسأله تشرشل:

كيف كان منظرنا ؟

اجاب كابتن بيتي: اه يا صديقي لقد كنتم مثل الارز عندما يوضع علي الزيت الحار وبعد المعركة النهائية في ام دبيكرات ١٨٨٩م و استشهاد الخليفة عبدالله قائد الدولة الذي وجد جالسا علي سجادته في ارض المعركة متوجها نحو القبلة وجسده ممزق بالرصاص هو و امراءه الأساسيين

هرب الامير عثمان دقنة نحو الشرق وبعث إلى الهدندوة في طوكر ليعدوا له العدة لتهريبه إلى الحجاز وأعدوا ثلاث سنابك لنقل الأمير واحدة في ترنكتات والثانية في هيدوب والثالثة في شمال عقيق وصل خبر وجود الأمير عثمان دقنه في الشرق للأنجليز الذين اعلنوا عن جائزة ضخمة لمن يدلي بمعلومات عن مكانه وعن طريق وشاية اسر الأمير ونقل مثقلا بالحديد إلى سواكن في عام ١٩٠٠م وسارع المحتل بنقل الأمير إلى سجن رشيد في ديسمبر ١٩٠٨ نقل الأمير إلى سجن وادي حلفا في عام ١٩٢٣م التمس عثمان دقنه من المحتلين السماح له بأداء فريضة الحج فرفض طلب دقنه بطريقة تعسفية، وتسرب الخبر إلى حزب الأحرار البريطاني الذي شنت صحفه حملة عنيفة ضد الحكومة، وتحت وطأة حملة حزب الأحرار سمحت الحكومة البريطانية لعثمان دقنه بالحج في عام ١٩٢٤موصل الأمير عثمان دقنه سواكن وهو في طريقه إلى الحج فاستقبله الأرتيقه والسواكنيه بحفاوة بالـغة ورتبوا له

لـقاء جامع للترحيب به ومن ثم تحلقوا في حلقة كبيره حول الأمير وهم يتلون ايات من القرآن الكريم ، وأغرورقت الدموع في عيني الأمير وهو يرى تلك الجموع الحبيبه ، ظل بقية حياته صائما نهاره يفطر على اللبن والتمر وقائماً ليله يستريح من القيام بتلاوة القرآن ليعاود قيامه وقد توقف جورج الخامس ملك بريطانيا في سواكن اثناء رحلته الي الهند لرؤية الرجل القابع في سجن البلدة معتصما بصمت عميق وعندما وصل الامبراطور الي سواكن رفض دقنة مقابلته مما اضطر الملك للذهاب الي السجن بنفسه وسط ذهول كبار مرافقيه وفي السجن ايضا رفض اسد الشرق الخروج من زنزانته لمقابة الملك عندئذ اصر الملك علي مقابلة الاسير وعلي الذهاب بنفسه الي الزنزانة التي تحوي هذا البطل الذي خلد سيرته لدي الاعداء قبل الاصدقاء الا ان عثمان دقنة ادار للملك ظهره منكبا علي مصحفه يقرأ عندئذ اخرج الملك سيفه وحيا البطل الاسير ثم خرج وفي ليلة السابع عشر من ديسمبر١٩٢٧ توفي عثمان دقنه في هدوء وبعد جنازة صامتة وحزينة دفن في مقابر بهلول بوادي حلفا وعلى أثر تهجير مواطني وادي حلفا لأنهاغرقت بسبب بناء السد العالي بمصر تم نقل جثته الطاهرة عام ١٩٦٤ ليدفن مجددا بمدينة اركويت علي سفوح جبال البحر الاحمر التي شهدت له صولات وجولات ضد المحتل

على طول محطات القطار وعبروا عن تلك المواقف التي تنداح قصيدا رائعا عن سيمفونية الرحيل وفراق الأرض فكان وطنهم الجديد في شرق السودان مدينة حلفا الجديدة وقراها الممتدة والتي حملت نفس اسمائها التي كانت فى الشمال

ان النوبيين صدموا بطبيعة المنطقة الجديدة في ارض البطانة بخريفها الممطر خاصة الامطار الليلية والرعد والبروق والعواصف بالإضافة الى الهواء والغبار أيضا ظهرت الهوة الثقافية بين مجتمعهم الحضري ومجتمع البادية في البطانة الذي يعيش حياة بسيطة جدا يرعي الابل ويعشق الترحال بحثا عن الماء والكلأ ويقرض الشعر ويجر الغنم في الصحراء

حكى ان الحلفاويين من سكان البطانة وتحديدا الشكرية كانوا في بداية التقائهم ينظرون الى طعام النوبيين نظرة ازدراء وسخرية خاصة حينما يمضغ الحلفاويون السلطة وأوراق الخس والجرجير والبصل النيء والمخللات والفجل واوراقه كانوا يعتبرونهم كما الأغنام والبهم

اما الفسيخ وما شابهه من ذوات الرائحة النفاذة كالتركين فكانت في فهمهم جناية غذائية وجرم لكنه اقر ان السنوات كانت كفيلة بردم تلك الهوة الثقافية باحداث التقارب الاجتماعي والاقتصادي والتداخل والتعايش معا

فكانت الملحمة الرائعة للاندماج بين مجتمع الشمال ومجتمع الشرق بزوال كل الفروق

تعتبر مدينة حلفا الجديدة وقراها الممتدة في سهل البطانة ومشروعها الزراعي المخطط بعناية منارات مضيئة انارت ليل البادية المظلم في ارض البطانة أيضا قررت الحكومة العسكرية بقيادة الفريق إبراهيم عبود وضمن تلك المنظومة من رحلات السكة الحديد نقل رفات الأمير عثمان دقنة المدفون في وادي حلفا بعد موته في سجنها حيث انه الوحيد من امراء المهدية الذي ظل رهن الحبس حتى وفاته

تقرر نقل الرفات من مقابر وادي حلفا الآيلة للغرق الى شرق السودان وتحديدا ضاحية اركويت بمحلية سنكات ليعاد دفنه هناك

يحكي ان مدينة سنكات ومحطة صمت اكتظتا بالقادمين لاستقبال رفات اميرالشرق وحضور مواراته الثرى مرة ثانية وفي اركويت ذات المكان الذي بدأت فيه الثورة المهدية في شرق السودان وكانوا يحملون السيوف والدرقات لاستقبال رفات اسد الشرق العائد الى عرينه

لقد احسنت الحكومة العسكرية صنيعا بذلك حيث ان اركويت هي نقطة انطلاقه وانتصاراته بدعم من الشيخ الطاهر المجذوب واتباعه في منطقة اركويت وسنكات

وقد تم استقبال الرفات في محطة صمت وسنكات استقبالا حاشدا ومشهود أعاد الى الاذهان تضحيات الأمير عثمان دقنة وانتصاراته في شرق السودان ومعاركه والتي تحدث بها العالم آنذاك رغم عنفوان الإمبراطورية البريطانية

يعتبر ضريح الأمير عثمان دقنة في اركويت معلما سياحيا بارزا حيث وضعت لوحة تاريخية في المقبرة توضح المعارك الحربية التي قادها الأمير عثمان دقنة اثناء الثورة المهدية ضد الاتراك والانجليز في شرق السودان من اجل التحرير

ويحكي الذين حضروا انزال الرفات في مرقده الجديد باركويت ان الجثمان وبعد ٣٩ عام من وفاته كان سليما وجاف ووجد ان وجهه وذقنه كما كانا سليمين يا سبحان الله

الأرض لم تاكل جثمان الأمير عثمان دقنة حيث كان من حفظة القرآن وقرائه يقول الضابط الإداري سليمان فقيري معتمد جبال البحر الأحمر

آنذاك في احدى مقالاته انه تحرك من بورتسودان متجها الى اركويت لحضور استلام رفات الأمير عثمان دقنة في محطة صمت بمحلية سنكات لكن تعطلت عربته على الطريق بين بورتسودان وسواكن حتى جاءه الوجيه كباشي عيسي عبدالله الذي كان يقود عربته في طريقه أيضا الى اركويت فرافقه في الرحلة وحضرا سويا مراسم الدفن

وبهذه المناسبة يذكر ان السيد كباشي عيسي فاز في دائرة سنكات الكبرى مرات عدة ومثلها في الجمعية التاسيسية والمجالس النيابية اللاحقة وقد قدم خدمات جليلة للمنطقة وخدم أبناء وبنات المنطقة وكان من النواب الشجعان

ولعل من انجازاته الماثلة الآن في مدينة سنكات المدرسة الثانوية للبنات التي تحمل اسمه وبها داخليات لبنات الريف وهي المدرسة الثانوية الوحيدة للبنات في المنطقة

حكى رجل نمساوي مقيم في سواكن في تلك الفترة عن زيارته طوعا لمعسكر الأمير عثمان دقنة وقواته غرب سواكن في السهل الساحلي على مقربة من الجبال اثناء فترة حصار مدينة سواكن وميناءها

وقد ذهب حبا في الاستطلاع فقط حيث عرض حياته للخطر فأوقف في المعسكر ووضع تحت المسائلة والمراقبة اللصيقة وقد ذكر ان جيش الأمير عثمان دقنة كان زاهدا في الاكل والنوم كما ذكر انهم كانوا لايهتمون بالملابس والمظهر العام كان جل الاهتمام بحلقات تلاوة القران الكريم وباصوات جهيرة

وقد حكى معاناته من اجل مشاهدة الأميرعثمان دقنة حيث شاهده بعد لأي شديد فوجده رجلا عادي وبسيط المظهر لايميزه شئ عن جنوده وقد حكى ان العربان في نواحي المعسكر يأتون كل صباح باللبن واللحوم للمعسكر

ثم ذكر هروبه بجلده زحفا على بطنه ليلا حتى ابتعد مسافة طويلة من المعسكر ليركض تجاه سواكن

ونحن هنا نذكر اهم معارك الثورة المهدية في شرق السودان بدءا بمعركة سنكات او اوكاك تأوي وقباب وابنت وتحرير سنكات ومعارك تحرير طوكر الساحل التيب ترنكتات ثم الجهاد الأكبر ومعارك سواكن والحصار

كان الجيش الإنجليزي المتحصن داخل سواكن يتوقع هجوما من قوات الأمير عثمان دقنة آناء الليل واطراف النهار رغم ان مدينة سواكن كانت محاطة بسور ضخم في شكل نصف دائري حيث امامها البحر والجزيرة والميناء

بوابة كتشنر هي البوابة الرئيسية في السور وبها منصات مراقبة وحراس مسلحين كما توجد ايضا طوابي او قلاع عالية عددها ثمانية موزعة في البر على مسافة من السور لمراقبة تحركات جيش الأمير عثمان دقنة

ونذكر من هذه القلاع كمثال طابية اندارا غرب سواكن التي لا تزال واقفة في حي الملكية الجديد وكذلك طابية الانصاري شمالا الان بجوار محطة توليد الكهرباء ولعل المحافظة على هذه القلاع سليمة امر هام جدا

بتحرير المدن الكبرى مثل طوكر وسنكات دان الاقليم لسيطرة جيش الأمير عثمان دقنة حيث تفرغوا لحصار سواكن المكتظة بالانجليز والأتراك وبدأت المناوشات والمعارك الضارية

هذه المعارك تعتير مهمة جدا حيث اثبتت مهارات الأمير عثمان دقنة الحربية وقدرته على التكتيك العسكري الذي يدرس في الكليات الحربية كما ان هذه المعارك اثبتت شجاعة المقاتل البجاوي وأبناء الشرق

ولعل قصيدة كبلنج شاعر الامبراطورية البريطانية بعنوان الفزي ويزي اكبر دليل على ذالك حيث يقول في احد المقاطع :

تلاعبوا بنا في سهول سواكن كما يتلاعب القط بالفأر

تعتبر معارك تاماي من اهم المعارك حيث تم فيها اختراق المربع الإنجليزي وتحطيم تلك الأسطورة التي طالما تبجح بها البريطانيون

تجرع السير جراهام كاس الهزيمة النكراء في تاماي وعاد ذليلا الى لندن حتى لم يسجل له صوت شكر على بلائه في معركة التيب الثالثة

اما في معركة هندوب وسلواديب شمال سواكن ١٨٨٨م هاجم الجيش الإنجليزي بقيادة محافظ سواكن كتشنر باشا بغتة جيش الأنصار عند القيلولة لالقاء القبض على الأميرعثمان دقنة فكانت النتيجة هي العكس حيث انقلب السحر على الساحر وهرب الجيش الإنجليزي وافراده نحو سواكن وامامهم الاحمق الكبير كتشنر حيث تملكهم الرعب والانهزام وقد أصيب كتشنر باشا في خده بسهم سبب له جرح غائر وقد حمل كتشنر حملا وقذف به داخل سور سواكن

وقد غادر كتشنر الى القاهرة للعلاج وبعد عودته اطلق عليه لقب تلأ بدأ أي ذو الخد المثقوب وكما ذكرنا تحصنت مدينة سواكن داخل سورها تحسبا لهجوم الأمير عثمان دقنة وقواته في أي لحظة

ولعل معركة ابوهشيم وتفرك وشاطا هي اقرب المعارك لمدينة سواكن وسورها حيث أصيب جنود الجيش الإنجليزي بالرعب وهم داخل السور او في قلاعهم المحصنة وكان لظرفاء مدينة سواكن داخل السور مواقف ساخرة وحكايات من الخوف لوقوع تلك المعارك التي تكاد تلامس سور المدينة

وتتميز منطقة سواكن بموقعها الاستراتيجي في شمال شرقي السودان، على الساحل الغربي للبحر الأحمر وتبعد عن العاصمة الخرطوم نحو ٦٤٢ كيلومتراً غرباً، وهي منطقة أثرية تاريخية، حيث تبلغ مساحتها عشرين كيلومتراً مربعاً، كانت سابقاً ميناء السودان الرئيس الذي يعتمد عليه في الصادر والوارد، ورابطاً بين أفريقيا وآسيا

وفي مارس الماضي، وقعت قطر والسودان اتفاقاً تجارياً قيمته ٤ مليارات دولار لتطوير ميناء سواكن، بحضور وزير المواصلات والاتصالات القطري ويعتبر الاتفاق واحداً من أكبر مشروعات النهضة والتنمية الاقتصادية الواعدة في السودان، ويقضي بدخول قطر كشريك

في الميناء بنسبة ٤٩% من حصة المشروع، الأمر الذي من شأنه زيادة حجم التبادل التجاري والاقتصادي بين البلدين

لمحات من سيرته وعبقريته العسكرية

كان مولد الأمير عثمان دقنه في سواكن عام ١٨٤٣م ووالده أبو بكر دقنه من أسرة الدقناب الشهيرة وأمه نفيسة ست البنات معلمة قرآن من البشارياب وهم بطن من بطون قبيلة الهدندوة بشرق السودان

نشأ الامير وسط أسرة تعمل بالتجارة فقد كان أخواه عمر وعلي وابن عمه أحمد يعملون بالتجارة بين سواكن وجده

سواكن كانت حينها الحياة بها ميسرة وسهلة ولكن بعد ضمها لمصر عام ١٨٦٣ م اتاها حكام من قبل الخديوي اسماعيل اولهم ممتاز باشا الذي اتبع سياسة الخيار والفقوس مما خلق عداوة بين الناس قد كانت تجارة عثمان وعمر وعلى وأحمد رائجة لذا اتهموا ظلما بالاتجار بالرقيق تحت ستار التجارة الحرة ، وحكم بالسجن على عمر وعثمان وعلي ، ثم صفيت أعمالهم بجده وصودرت ممتلكاتهم وعاد الأخوة الثلاثة إلى سواكن بعد ضياع ما جمعوه عبر السنين

على أثر هذا غادر عثمان دقنه سواكن إلى بربر حيث استقر وتزوج هناك، وبمساعدة أصهاره استطاع أن يعود إلى التجارة

وفي عام ١٨٨٢م رجع إلى سواكن في مهمة تجارية حين حاول أن يقيم تنظيم لمقاومة السلطات القائمة

تنامت أنباء المهدي وانتصاراته فتوجه عثمان إلى كردفان وبايع المهدي وتم تعيينه أميراً على شرق السودان

بدأت حملات الامير عثمان دقنة علي سواحل البحر الاحمر بالقضاء علي الحاميات التركية المصرية التي كانت تحت امرة ضباط انجليز في نفس الوقت الذي تحركت فيه حملة الكولونيل وليم هكس قائد اركان الجيش المصري بالسودان غربا لملاقات قوات المهدي في غابة شيكان و قد عمل الامير عثمان علي قطع اي مدد من منافذ البحر الاحمر للكولونيل هكس مما ساعد قوات المهدي في هزيمة هذه الحملة عام ١٨٨٣م معركة شيكان و ابادة كل جنودها في ملحمة علق بالقول عليها اللورد فيتز موريس في جلسة مجلس اللوردات البريطاني نوفمبر ١٨٨٣م لم يفن جيش بهذه الطريقة منذ ان هلك جيش فرعون في البحر الاحمر

عندما تعاظمت قوة عثمان دقنة قام الخديوي بتعين الضابط البريطاني الميجور جنرال فالنتين بيكر ضابط بسلاح الفرسان البريطاني: عمل بتميز في جنوب افريقيا و حرب القرم و الحرب البروسية -الفرنسية و عندما وصل الي سواكن في ديسمبر ١٨٨٣م علم بأن عثمان دقنة يحاصر مدينة طوكر فتحرك بيكر بقواته المكونة من الباشبزق و الجندرمة المصريين و سلاح الفرسان لفك حصار طوكر في هيئة المربع التكتيكي و هو عبارة عن مربع مفرغ له اربع جوانب تتكون من الجنود الذين يحملون البنادق و المدفعية و عادة ما تجمع المؤن في الداخل هذا التشكيل استخدم بواسطة الجيوش علي مدي قرون و المربع في ذلك الوقت هو التشكيل الاحسن في حالة الدفاع الثابت علي ارض مكشوفة و لكن من الصعب الحفاظ علي تماسكه في حالة الحركة تعامل جنود دقنة بفن المناورة و السحب لقوات بيكر حتي ادخلوهم بقرية تدعي التب و هنالك انهال عليهم فرسان الهدندوة كالسيل و قضوا عليهم في مجزرة رهيبة تمكن بيكر من الهرب مع بعض حرسه الي مدينة سواكن المحصنة و قد ارسل بعد اسبوع للورد كرومر بالقاهرة يقول له لم يحاول الجنود القتال مطلقا فقد القوا اسلحتهم و لاذوا بالفرار كما تركوا انفسهم ليقتلوا دون مقاومة اكثر من الفين منهم قتلوا و الاوربيين ايضا عانوا كثيرا قتل في تلك المعركة ٢٥٠٠ من جنود بيكر و بعد ذلك لم يبقي امام الحاميات المصرية بشرق السودان الا الانسحاب فحاول قائد حامية

سنكات محمد توفيق الانسحاب و ما ان غادر بجنوده المدينة في صبيحة الثامن من فبراير ١٨٨٤م حتي انقض عليهم الامير عثمان دقنة و جنوده فتكررت مجزرة اخري و بعد اسبوعين من تلك الواقعة استسلمت حامية طوكر لتفادي المزيد من المجازر و لم يبقي الا مدينة سواكن بحاميتها من الضباط البريطانيين و دعم مدفعية الاسطول الملكي البريطاني

كان الرأي العام في بريطانيا و رأي الملكة فكتوريا سيئا في جيش يقوده ضباط بريطانيين و يمزق اربا علي يد قوات المهدي في وسط و غرب السودان و قوات عثمان دقنة بشرق السودان و كانوا يروون ان هذه الهزائم و المجازر قد حطمت سمعة بريطانيا و جيشها و قادتها و مارس الاعلام و الرأي العام الانجليزي ضغطا علي جلادستون رئيس الوزراء لأرسال الجنرال جردون احد اعظم القادة الانجليز في ذلك الوقت ليرد كرامة بريطانياو عندما رضخ جلادستون ارسلت الملكة عبر سكرتيرها تقول:نحن سعداء جدا بأن قررت حكومتنا اخيرا فعل شئ ارجوا ان لا يكون متأخرا لأنقاذ بعض الارواح خاصة و ان سقوط سنكات كان فظيعا كما ارسل جلاديستون امره للادميرال السير وليم هويت قائد الاسطول البريطاني بالبحر الاحمر بأن يجمع قواته و يرسلهم الي الشاطئ لمحاربة عثمان دقنة

في فبراير١٨٨٤ تم انزال رجال اطقم البحرية البريطانية بسواكن مع تأمين من سفن اسطول البحر الاحمر البريطاني و مدفعيتها ماركة جاتلينج و غاردنر الرشاشة علي رأسهم المدمرة الانجليزية نسر جلالة الملكة و تم اللحاق قوات مارينز انجليزية قادمة من الهند و جنود البحرية المرابطين ببورسعيد و عج البحر بالسفن البريطانية من عدة مستعمرات لأمداد هذه الحملة و من ضمن هذا المدد:

١ كتيبة من البلاك ووتش

٢كتيبة من الهايلاندرز

٣ مشاة المارينز الملكية

٤ فيلق بنادق الملك

٥فيالق اليوركشير و اللانكشير و الايرش

٦ قوة من الخيالة تتبع للفرقة التاسعة عشر هوصار والفرقة العاشرة هوصار

و ضمت الحملة ضباط ذو خبرة واسعة كالفريق سير جيرالد جيرهام حامل وسام فكتوريا كروس و الكولونيل هربرت ستيوارت الذي تميز في

قيادة معركة التل الكبير و الكولونيل سير ردفيرز بوللر حاصل علي وسام فكتوريا كروس و الكولونيل فردريك برنابي قائد فرسان الحرس الملكي البلوز و اللورد شارلس بيريز فورد من قادة الاسطول البحري الملكي و غيرهم من الضباط الانجليز اصحاب الخبرة و تولي القيادة جيرهام الذي حشد كل القوة في ثلاثة الوية اثنان مشاة و واحد من الخيالة و كان هدف الحملة استعادة كرامة و هيبة الجيش البريطاني و تأديب قوات عثمان دقنة ومن ثم مساعدة حامية الخرطوم التي يقودها الجنرال غوردون في مواجهة جيش المهدي

قاد جراهام قواته خارجا من ميناء ترينكتات الصغير في تشكيل من المربع الانجليزي المعروف الواجهة الامامية من الهايلاندرز و الخلفية من البلاك ووتش و الواجهة اليسري من المارينز و اليوركشير و اللانكشير و كونت قوات الايرش و بنادق الملك الواجهة اليمني و ارسل خيالة استطلاع من الفرقة العاشرة هوصار بينما ظلت بقية الفرقة العاشرة هوصار و الفرقة التاسعة عشر هوصارمن الخيالة في الخلف و تم تأمين اركان المربع بمدافع جاتلينج و جاردنر الرشاشة و مدافع الميدان ٧ رطل كانت عيون عثمان دقنة تراقب تحرك الجيش البريطاني فأمر قائديه مدني و عبدالله بن الحسن بأحتلال الاطلال القائمة علي قرية التيب و اتخاذ مواقع الرماية و كانت قوات عثمان دقنة تملك مدفعا واحدا

من ماركة جاتلينج و بعض القطع من مدافع الميدان كروب استولوا عليها من قوات بيكر و معظم رجاله مسلح ببندقية ماركة رمينجتون-٤٠ بطلقة واحدة عندما ظهر تشكيل جرهام الضخم زاحفا علي انغام موسيقي القرب من الوحدات الاسكتلندية بدأت المعركة في ظهيرة ٢٩ فبراير ١٨٨٤ بقذيفة مدفع من ناحية قوات دقنة من علي بعد الف ياردة و حققت اصابات ناجحة في المربع الانجليزي احتمي المشاة البريطانيين بالسواتر الارضية و لم يتقدموا الا بعد ان اسكتت نيران مدفعية دقنة تقدم المربع تحت ساتر من القصف المدفعي ناحية اليسار للالتفاف حول قوات دقنة و هنا تجلت عبقرية عثمان دقنة بأقتحامه للمربع لحظة تحركه عبر جنود له كامنيين داخل الاودية و تلاحموا مع الانجليز في قتال رهيب اما قوات الخيالة من الهوصار فسرعان ما وجدوا انفسهم وسط مقاتلين الهدندوة المختبئين حول الشجيرات و تعرضوا لهجوم شرس من حاملي السيوف و الحراب و كان بعض من فرسان الهدندوة ينطرحوا ارضا ليسقطوا الاحصنة بضرب سيقانها

و تكررت المعارك بين الجانبين في سنكات و طماي و غيرها من المعارك تعودت فيها قوات دقنة من اقتحام مربع الجيش البريطاني و اعمال القتل و الفوضي داخله

لقد نجح عثمان دقنة و جنوده فيما اخفق فيه الفرنسيون و الروس علي السواء و هو اختراق المربع الانجليزي وكانت عبقرية دقنة في اختراقه لهذا المربع ترتكز علي المناوشة و استدراج العدو مع الهجوم عليها في وقت تحرك المربع و التركيز علي الهجوم من المؤخرة مع اقامة الكمائن حول مسار تحرك العدو كل ذلك مع الاعتماد علي سرعة الكر و الفر ساعده علي ذلك خفة قواته المهاجمة و بسالتهم و عندما تدرس الاننظرية الاختراق من مؤخرة العدو في كلية الاركان في كامبرلي تذكر تكتيكات الامير دقنة كنموزج في معاركه في التيب و طماي و توفريك و خور شمبات

واستولي عثمان دقنة علي الشرق و ارسل للمهدي قائلا:لقد قذف الله الرعب في قلوب الانجليز فذهبوا

و سرعان ما سقطت الخرطوم في يد جيوش المهدية في يناير ١٨٨٥م

واصبح السودان بعد ذلك دولة مستقلة

و لم تنسي بريطانيا تمرغ وجهها في التراب السوداني فعادت بعد اربعة عشر عاما بجيوش جرارة بقيادة الجنرال كتشنر و حارب السودانييون كما عرف عنهم بكل شجاعة و وقف الامير عثمان دقنة بقواتة يشد من

ازر جيوش المهدية بقيادة الخليفة عبد الله التعايشي و مات اغلب المقاتلين السودانيين في معارك مثل كرري و ام دبيكرات بعد ان واجهوا اسلحة رشاشة لم يعتادوها حصدتهم حصدا فوقع عشرات الالاف قتلي بكل شرف و شجاعة حتي قال عنهم رئيس الوزراء البريطاني تشرشل و الذي كان حينها ضابطا في هذه الحملة في كتابه عن تلك المعارك و المسمي حرب النهر قال: انهم اشجع من مشي علي وجه الارض

الخسارة الوحيدة الملموسة للجيش الانجليزي كان من خلال كمين علي حافة النهر اقامه مقاتلي عثمان دقنة لسلاح الفرسان البريطاني فاوقعوا فيهم الكثير من القتلي و بعد سنوات من تلك الواقعة سأل تشرشل احد قادة السفن المدرعة كابتن بيتي الذي شارك في معركة كرري

فأجابه لقد رايت من ظهر السفينة كمين عثمان دقنة ولم افهم غرضه الي ان رايتكم

تندفعون نحوه و خفت ان اطلقت نيران المدافع الرشاشة ان تصيبكم

فسأله تشرشل:

كيف كان منظرنا ؟

اجاب كابتن بتي: اه يا صديقي لقد كنتم مثل الارز عندما يوضع علي الزيت الحار

بعد المعركة النهائية في ام دبيكرات ١٨٨٩م و استشهاد الخليفة عبدالله قائد الدولة الذي وجد جالسا علي سجادته في ارض المعركة متوجها نحو القبلة و جسده ممزق بالرصاص هو و امراءه الأساسيين

هرب الامير عثمان دقنة نحو الشرق وبعث إلى الهدندوة في طوكر ليعدوا له العدة لتهريبه إلى الحجاز وأعدوا ثلاث سنابك لنقل الأمير واحدة في ترنكتات والثانية في هيدوب والثالثة في شمال عقيق وصل خبر وجود الأمير عثمان دقنه في الشرق للأنجليز الذين اعلنوا عن جائزة ضخمة لمن يدلي بمكانه وعن طريق وشاية اسر الأمير ونقل مثقلا بالحديد إلى سواكن في عام ١٩٠٠م و سارع المستعمر بنقل الأمير إلى سجن رشيد في ديسمبر ١٩٠٨ نقل الأمير إلى سجن وادي حلفا في عام ١٩٢٣م التمس عثمان دقنه من المستعمرين السماح له بأداء فريضة الحج فرفض طلب دقنه بطريقة تعسفية، وتسرب الخبر إلى حزب الأحرار البريطاني الذي شنت صحفه حملة عنيفة ضد الحكومة، وتحت وطأة حملة حزب الأحرار سمحت الحكومة البريطانية لعثمان دقنه بالحج في العام ١٩٢٤موصل الأمير عثمان دقنه سواكن وهو في طريقه إلى الحج فاستقبله الأرتيقه والسواكنيه بحفاوة بالـغة ورتبوا له لـقاء جامع للترحيب

به ومن ثم تحلقوا في حلقة كبيره حول الأمير وهم يتلون ايات من القرآن الكريم ، وأغرورقت الدموع في عيني الأمير وهو يرى تلك الجموع الحبيبه ، ظل بقية حياته صائما نهاره يفطر على اللبن والتمر وقائماً ليله يستريح من القيام بتلاوة القرآن ليعاود قيامه وقد توقف جورج الخامس ملك بريطانيا في سواكن اثناء رحلته الي الهند لرؤية الرجل القابع في سجن البلدة معتصما بصمت عميق وعندما وصل الامبراطور الي سواكن رفض دقنة مقابلته مما اضطر الملك للذهاب الي السجن بنفسه وسط ذهول كبار مرافقيه وفي السجن ايضا رفض اسد الشرق الخروج من زنزانته لمقابة الملك عندئذ اصر الملك علي مقابلة الاسير وعلي الذهاب بنفسه الي الزنزانة التي تحوي هذا البطل الذي خلد سيرته لدي الاعداء قبل الاصدقاء الا ان عثمان دقنة ادار للملك ظهره منكبا علي مصحفه يقراء عندئذ اخرج الملك سيفه وحيا البطل الاسير ثم خرج وفي ليلة السابع عشر من ديسمبر١٩٢٧ توفي عثمان دقنه في هدوء وبعد جنازة صامتة و حزينة دفن في مقابر بهلول بوادي حلفا وعلى أثر تهجير مواطني وادي حلفا غرقت بسبب بناء السد العالي بمصر تم نقل جثته الطاهرة التى وجدت كانة مات حينها لم تتاثر أو تتأكل عام ١٩٦٤ ليدفن مجددا بمدينة اركويت علي سفوح جبال البحر الاحمر التي شهدت له صولات وجولات ضد المستعمر

قبل ثلاث سنوات من وفاة الأمير عثمان أبوبكر دقنة ت ١٩٢٦/١٢/٧م، نشر السير ونجت باشا مقالاً عن القصة الحقيقيَّة لعثمان دقنة في صحيفة قرافيك البريطانيَّة-الأسبوعيَّة بهدف توصيل رسالة إلى أعضاء البرلمان البريطاني، الذين كانوا يتداولون مقترح إطلاق سراحه، بأن الوقت غير مناسبٍ ولذلك بقي ثعبان الماء الزلق، كما ينعته ونجت، في سجنه بوادي حلفا إلى أنَّ وافته المنيَّة في السابع من ديسمبر ١٩٢٦م وقبل وفاته ببضعة أشهر، أصدر هنري سيسل جاكسون كتاباً بعنوان عثمان دقنة، واصفاً صاحب السيرة بأنه أشهر زعيمٍ بربريٍ متوحشٍ، يظهر في تاريخ قارة أفريقيًّا الحديث، ولقد ذاعت شهرته نسبة للحروب التي خاضها ضد الإمبراطوريَّة البريطانيَّة في شرق السُّودان وفي عام ١٩٧٣م أصدر محمد إبراهيم أبوسليم مذكرات عثمان دقنة، مستقياً معلوماتها من دفتر عثمان دقنة، الذي عثر عليه ونجت باشا في طوكر وعفافيت ويحتوي الدفتر على ثلاث رسائل من عبد ربه عثمان بن أبي بكر دقنة إلى حبيبه وسيده خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام محمد المهدي بن السيد عبد الله، يوضح فيها المعارك التي خاضها ضد القوات البريطانيَّة-المصريَّة في سكنات، أركويت، وسواكن، وطوكر، وكسلا؛ وكذلك السند المعنوي والمادي الذي قدمه له السادة المجاذيب والدقناب؛ ويشير في المقابل إلى معارضة الختميَّة والشناقيط والبني عامر والعمارار الأمرار وغيرهم من القبائل الأخرى إلا أن ونجت يتهم كاتب الدفتر بعدم الصدق،

متعللاً بأنه يخضع الحقائق لهواه، ويبين جانب الأنصار؛ لكن أبوسليم يرى خلاف ذلك، إذ يصف الكاتب بالالتزام – حد المستطاع- بالدقة، وخاصة في أعداد الجيوش والخسائر لم يكن صاحب ميل أو هوى ولعل الحالة الوحيدة التي تباعد فيها عن الحقيقة هي حالة الجيوش الإنجليزيَّة التي هزمت الأنصار، فالمذكرات تضاعف أعدادها، وتضاعف قتلاها " وعزى أبوسليم ذلك التجاوز لقلة المعلومات، أو لرفع الروح المعنويَّة للأنصار والمذكرات بهذا الوصف لم تكن سيرةً شاملةً للأمير عثمان دقنة، بقدر ما أنها رسائل وثَّقت للمعارك التي خاضها في عهد الإمام المهدي، أما جانب السيرة فيتجلى في مقدمة أبي سليم الضافية عن تاريخ حياة الأمير عثمان دقنة في المهديَّة، وعن محتويات الدفتر، وكيفيَّة تحقيقها، وتقييمها شكلاً وموضوعاً وفي عام ٢٠٠٤م، أصدر أبوسليم مجلداً آخر بعنوان محررات عثمان دقنة، مستنداً إلى أرشيف المهديَّة المُودع بدار الوثائق القوميَّة بالخرطوم، والذي رصد أنشطة عمالة الشرق الحربيَّة والسياسيَّة والإداريَّة والتجاريَّة في الفترة التي أعقبت وفاة المهدي إلى صيف عام ١٨٩٨م أما المرجع الوحيد الذي ترجم لسيرة عثمان دقنة باللغة العربيَّة فهو كتاب محمد سليمان صالح ضرار، الموسوم بأمير الشرق: عثمان دقنة"، والذي نشرته الدار السُّودانيَّة للكتب بدون تاريخ في عقد التسعينيات من القرن الماضي والكتاب يرسم صورةً ذهنيَّة حيَّة لتاريخ أمير الشرق ومجاهداته، دون الاستئناس بالأدبيات

الإنجليزيَّة المعادية للرجل وسيرته وصنواً لهذا المرجع، تقف سيرة عثمان دقنة التي رسمها الإداري البريطاني هنري سيسل جاكسون باللغة الإنجليزيَّة والآن بين أيدينا الترجمة العربيَّة التي أعدَّها الأستاذ الدكتور بدر الدين حامد الهاشمي، بعد مضي أكثر من تسعين عاماً على تاريخ نشر أصلها الإنجليزي وتُعْدُّ هذه الترجمة بكل المقاييس إضافةً نوعيَّة إلى ترجمات الهاشمي المتفردة الأخرى، التي تُبرز تاريخ الدولة المهديَّة من وجهة نظر غربيَّة ومقصد القول إنَّ المصادر والمراجع التي أشرنا إليها أعلاه تقدم إلى الباحثين السُّودانيين المهتمين بدراسات المهديَّة وسير أعلامها مدوَّنة مصدريَّة مهمة تساعد في استيعاب الصورة الكاملة للأمير عثمان دقنة، الذي، حسب أبوسليم قد "ترك سجلاً عظيماً وكان أبعد أمراء المهديَّة شهرة في الخارج، وفي الداخل كان سيد أرضه، لم يُعزل كما عُزل قادة المهدي، ولم يُنقل إلى غير جهته، وحتى عندما كان [الأمير محمد عثمان] أبوقرجة يشاركه السلطة، وكانت أمانة الخليفة قائمة عليهما معاً، كان موقفه من الدعوة قائماً، وكانت لا تُعوض مكانته مكانة أخرى أما فيما عدا الشرق، فلم يكن له نفوذ، فهو رجل الشرق وحسب "!

وتقودنا هذه التوطئة إلى إلقاء ضوء على محاور رئيسة من سيرة عثمان دقنة التي دوَّنها جاكسون، ونقلها إلى العربيَّة الهاشمي، وتشمل هذه

المحاور القضايا الآتية

أولاً: يتكون الكتاب من تسعة فصولٍ؛ تعرض السبعة فصول الأولى منها مشاهد الواقع السياسي التي نشأت في أحضانها الثورة المهديَّة، والحروب التي دارت بين عثمان دقنة والقوات البريطانيَّة-المصريَّة في شرق السُّودان، كما تقدِّم وصفاً حياً للمرحلة الأخيرة التي أفضت إلى نهاية الدولة المهديَّة على يد القوات الغازيَّة عام ١٨٩٨م ويتطرق جاكسون في الفصلين الأخيرين لسيرة الأمير عثمان دقنة من جوانب متعددة، تشمل نشأته أولى في سواكن، وهجرته إلى بربر، ومجاهدات في عهد المهديَّة، وقصة اختفاءه في جبال البحر الأحمر، والقبض عليه بعدما أفشى سره الشيخ محمد علي الأمير أرو، شيخ فخز الجميلاب الهدندوة، ثم فترة سجنه في رشيد وطُرَّة، وأخيراً وادي حلفا كتب جاكسون الفصول السبعة الأولى بطريقة وصفيَّة ومنهج حولي، أقرب إلى كتابة التقارير الحكوميَّة، كما ذكر المؤلف نفسه، وليس فيها نوع من التحليل لمفردات الأحداث في ظل الظروف التي تشكلت فيها، أو النقد الموضوعي للمصادر التي اعتمد عليها، علماً بأن معظمها كان من إصدارات الحرب الدعائيَّة ضد الثورة المهديَّة، ونذكر منها على سبيل "حرب النهر"، لونستون شيرشل ١٨٩٩م؛ و"المهديَّة والسُّودان الإنجليزي المصري" لونجت باشا ١٨٩٩م؛ و"عشر سنوات في أسر معسكر المهدي"، لجوزيف أوهرولدر ١٨٩٢م؛ و"السيف والنار"، لسلاطين باشا ١٨٩٦م؛

و"جغرافية وتاريخ السُّودان "لنعوم شقير ١٩٠٣م أما الجزء الخاص بسيرة الأمير عثمان دقنة، فواضح أنَّ المؤلف قد اعتمدت فيه على بعض المصادر الشفويَّة التي استقاها من رهط من زعماء القبائل الذين عاصروا أمير الشرق، أو اشتركوا معه في الحروب التي خاضها ضد القوات البريطانيَّة-المصريَّة، و"القوات الصديقة"، كما يسميها جاكسون، من قبائل الشرق وقد كتب جاكسون هذا الجزء بطريقة قلميَّة رائعة؛ إلا أنها لم تخل من بعض الإسقاطات الاستشراقيَّة وأعنى بالإسقاطات الاستشراقيَّة قراءة الواقع المهدوي من منظور غربي خارج سياقاته التاريخيَّة، فضلاً عن الاستخفاف بعطاء المهدويين، الذين وصفهم بالدراويش أو الأعداء، ونعت سنوات حكمهم "بالسنوات النحسات" وفي مقابل نلحظ أنه يصف القبائل المتحالفة مع الحكومة الاستعماريَّة "بالقوات الصديقة"، وينصِّب الجنرال جردون بطلاً بريطانياً، استشهد في سرايا الحكمداريَّة بالخرطوم، دون أنْ ينظر إليه بأنه استعماري غازي، حاول أن يخمد جذوة الثورة المهديَّة التي أشعلها السودانيون ضد الحكم التركي-المصري ومن زاوية أخرى، يصف جاكسون انتصارات المهديَّة بأنها انتصارات "مجموعة من الغوغاء، مسلحين بالعصي والحراب" تمكنوا من "إيقاع هزائم متتالية بجيش كان يقوم على تدريبه ضباط متعلمون أكفاء وفي بعض الأحيان أوربيون، وكان مزوداً بكل ما عند الجيوش الحديثة من سلاح وعتاد" ولذلك نتفق مع الهاشمي بأنَّ كتاب

جاكسون من هذه الزاوية، يجسد نمطاً من أنماط تفكير الإداريين البريطانيين القدامى، "الذين تغلب عند معظمهم – إن لم نقل كلهم – نزعات العنصريَّة، والإحساس بالتفوق على أجناس الأهالي، الذين غزوهم بذريعة إشاعة التحضر والمدنيَّة

ثانياً: أقرَّ جاكسون بحقيقة مهمة، مفادها أنَّ الحكومة البريطانيَّة لم تكن راغبة في احتلال السُّودان، لأنها كانت تعبره "من الممتلكات عديمة القيمة"، وإنَّ مصر ليست لديها إمكانات اقتصاديَّة أو عسكريَّة للسيطرة عليه وبناءً على ذلك، أوفدت الجنرال جردون لتنفيذ إخلاء السُّودان من القوات العسكريَّة والرعايا المصريين، كما أوصت حكومة صاحبة الجلالة الجنرال ولسلي Wolseley بعدم القيام بأي مهام هجوميَّة" على المهدويين؛ إلا إذا اقتضى الأمر ضرورة إخراج اللواء جردون، والعقيد ستيوارت بسلام وأنَّ حكومة جلالة الملكة ترغب في حصر العمليات العسكريَّة في أضيق نطاق" إلا أن اعتداد غرودن بنفسه، وتفكيره المتعالي بالقدرة على منازلة المهدي وأنصاره قد وضع الحكومة البريطانيَّة والسُّودان في مسار آخر؛ لأن قتل جردون قبل وصول حملة الإنقاذ قد غير المزاج السياسي البريطاني في لندن ولذلك أرسل ولسلي برقيَّة إلى الرائد هارينجتون Harrington، المرابط في سواكن، في ٨ فبراير ١٨٨٥م، قائلاً له كلما أسرعت بالتعامل مع عثمان دقنة، كلما كان ذلك أفضل أقترح استجلاب سرية مشاة من الهند وسرية فرسان من

البنجاب لسواكن بأعجل ما تيسر؛ لتأخذ مواقعها بذلك المكان في الصيف" ولذلك يعزي جاكسون توسع العمليات العسكريَّة في سواكن إلى واحدٍ من الأسباب الآتية: أنَّها خطوة أوليَّة للتقدم نحو الخرطوم في الخريف؛ أو أنَّها تهدف لاختبار الآلة الحربيَّة البريطانيَّة المتوقع استخدامها في الحرب ضد أفغانستان؛ أو أنَّها تهدف لمنع أي احتمال لقيام عثمان دقنة بمحاولة الهجوم على مصر من جهة الشرق ونتيجة لذلك أصبحت سواكن أشبه بمناطق العمليات العسكريَّة؛ إذ توافد إليها العسكريون من "مختلف السحن والأجناس رجال هنود حمر من كندا، وبنجاب وسيخ وبنغال من الهند، ورجال يقودون البغال أتوا من الجزيرة اليونانيَّة كيثيرا[Kythira] ، وصبية من قيلة الكرو القادمين من ليبيريا، وصوماليين من ساحل البحر الأحمر، ومالطيين، إضافة لجنود من الهند وأستراليا والجزر البريطانيَّة" وبلغ عدد القوات العسكريَّة في المدينة، حسب جاكسون، "٥٠٠ ضابط، و١٢٥٢٢ ضابط صف وجندي، وأعداد كبيرة من العاملين المدنيين" ونتيجة لهذه التطورات السياسيَّة والعسكريَّة، تصاعدت حدة القتال بين الأمير عثمان دقنة والقوات البريطانيَّة متعددة الأجناس، وذاعت شهرة "أمير المهديَّة الدرويش" في الصحافة العالميَّة والإقليميَّة؛ لأنه، حسب رأي المؤلف، قد "خاض معارك كثيرة ضد الحكومة، وانتصر في قليل منها، وخسر الباقي، بجيش قوامه جنود جهلاء، سيئ التنظيم، ويعوزهم التدريب والسلاح الحديث، حاربوا جيشاً

نظامياً مدرباً، ومزوداً بسلاح حديث، وكتائبٍ عسكريَّة من إنجلترا والهند وأستراليا "

ثالثاً: يؤيد ما جاء في كتاب جاكسون الفرضيَّة التي ذهب إليها أبوسليم بأن المواقف السياسيّة المحليَّة في شرق السُّودان تجاه المهديَّة قد تشكَّلت حسب التضاريس الدينيَّة والسياسيَّة والقبليَّة الناظمة لعلاقات المجتمع آنذاك، والتي برزت في التنافس الحاد بين الختميَّة والمجاذيب، وصراعات الأرض والمرعي بين الهدندوة أنفسهم، وبينهم وبين القبائل المساكنة لهم من طرف آخر، فضلاً عن الصراع الخفي بين أهل الحضر سواكن وسنكات وأهل البادية أركويت، ودورديب، وهيا ومن النماذج الحيَّة التي تعضِّد هذا الافتراض ومرارة الصراع الناتج عنه قول جاكسون: بأن عثمان دقنة بعد أن حرر مدينة كسلا قام "بهدم كل بيوت آل الميرغني في المدينة، وهدم قبة السيد الحسن الميرغني، ومسجد ابنه السيد عثمان وكانت تلك القبة مزاراً دائماً للنساء المؤمنات ببركة السيد الحسن، واللواتي كن يرغب في الحمل وأصدر عثمان دقنة أمراً بجلد كل من يزور بقايا حطام تلك القبة سبعة وعشرين جلدة" يبدو أن هذه العداوة المستفحلة بين الختميَّة والمهديَّة كانت سبباً رئيساً في هجرة بعض أفراد الأسرة الميرغنيَّة إلى مصر، حيث شكلوا ترياقاً معادياً إلى المهديَّة

رابعاً: يقدِّم الكتاب صورة ذهنيَّة حيَّة لقصة اختفاء الأمير عثمان دقنة في جبال البحر الأحمر، ويرسم لوحةً قلميَّة رائعةً لوعورة تضاريس المنطقة

التي اختفى فيها، وكيفيَّة القبض عليه، ورد فعل الأمير المجاهد إلى الذين شدُّوا وثاقه ومن تلك اللوحة القلميَّة نقتبس هذا النصُّ البديع: "وفي وسط تلك الأنحاء البديعة المنظر، والوعرة في آنٍ معاً، غدت الأجواء مهيأة للفصل الختامي من تلك الدراما وكان ذلك المشهد جديراً بممثلٍ كُتب عليه أن يؤدي دوره الأخير في تاريخ العالم وتكومت صخور فوقها صخور، جعلت إمكانيَّة الوصول للهدف أمراً عسيراً ومحفوفاً بالمخاطر فبين كل جبل وآخر كانت هنالك أخاديد عميقة، يخيل للمرء أن رجلاً نشطاً خفيف الحركة قد يقفز من أحدها إلى الأخرى في أيه لحظة وكان من المتوقع أن يكون عثمان دقنة مختبئاً في واحد من تلك الكهوف الواقعة على ارتفاع ستة أقدام فوق قاع الوديان، وهو في انتظار الرسول الذي خانه" ثم يمضي المؤلف ويقول: لقد " كثرة محاولات القبض على الرجل المُراوِغ، وصارت أكثر صفاته المشهورة عند الناس هي قدرته على النفاذ بجلده في اللحظة الأخيرة قبيل القاء القبض عليه، وغدا القبض عليه أمراً جالباً للدعابة الساخرة فقد قيل من قبل أنَّه قد قتل في التيب، أو تامينيب، وفي طوكر، أو كوفيت وقيل إنَّه شوهد لبعض الوقت في كسلا، وأبو دليق، وطوكر، وادراما وكان كلما شوهد في مكان ما يقوم بعض الأهالي بالإبلاغ للحكومة عن وجوده وشُوهِدَ كذلك في أم درمان، وعرف أنَّه كان موجود أثناء معركة أتبرا [النخيلة] وجرت محاولات عديدة للقبض عليه، كانت نتيجتها دوما إما تشتيت قواته، أو هربه من

المواجهة لذا لم يكن محمد بيه متحمساً، أو واثقاً من أنَّه سيعثر هذه المرة على ذلك القائد المهدوي المُراوِغ، عندما طلب من النقيب بيرقيس [Burges]المشاركة في العمليَّة غير أنَّ النقيب بيرقيس كان متحمساً ومستعداً للمشاركة في أي عمليَّة تؤدي للقبض على آخر أمير من بين كل أمراء المهديَّة، وربما كان أكثرهم شهرة "ويصف المؤلف لحظة القبض على عثمان دقنة، بعد أن نبح الكلب الذي كان يحرسه، معلناً عن مكان مخبئة: " وبدأ رجال الشرطة بربط وثاق جمالهم حتى لا ينبه رغائها من يطلبونه، وخلعوا الطرابيش والمعاطف وأمروا بالتقدم ببطء والإحاطة بمكان الهدف بهدوء واستغلال كل ما يجدونه حولهم، مهما صغر، لحماية أنفسهم غير أنَّ رجال الشرطة العرب كانوا متحمسين بأكثر مما يجب، فأسرعوا الخطى، بل عَدوا نحو الكهف الذي يعتقد أنَّ عثمان دقنة يختبئ، تاركين ورائهم قائد الشرطة السمين، وهو يلهث محاولا اللحاق بهم وبزغ الفَجْرُ الآن، واستيقظ عثمان دقنة على صوت نباح الكلب، وسأل خادمه عن سبب نباح الكلب ردَّ عليه الخادم مطمئناً بأن ذلك ربما كان بسبب مرور بعض الأعراب مع أغنامهم بالمكان أخذ عثمان دقنة مصحفه وبدأ يقرأ، بينما أنصرف الخادم ليعد طبقاً من اللحم طال عهد سيده به وفجأة هجم رجال الشرطة على الكهف الذي يختبئ فيه عثمان دقنة، ووجدوه متمدداً في كسل منتظراً طعامه، وهو يمسك بمصحفه قفز سريعاً من مرقده متجهاً للمخرج، ولكنه وجد رجال الشرطة يسدونه، فرجع مسرعاً

يلتمس مخرجاً آخر، إذ أن لتلك الكهوف عدة مخارج في العادة وأفلح بالفعل عثمان دقنة في الخروج من باب خلفي للكهف، وقام بعض رجال الشرطة بتوسيع المسافات بين الصخور، ووجد النقيب بيرقيس أن سيفه يجعل من تعقبه للرجل أمراً عسيراً، فرماه بعيداً عنه ومضى يطارده ورفع بصره في اتجاه معين فلمح شخصاً بجبة مرقعة متسخة، يقفز من صخرة إلى أخرى على بعد ثلاثين أو أربعين قدماً فوق جانب الجبل وسرعان ما أُحيط بعثمان دقنة، وصاح أحد رجال الشرطة اسمه محمود آداب في عثمان دقنة بلغة الهدندوة: "قف! يا أبا حليمة، لقد انتهى وقت الهرب الآن" ردَّ عليه عثمان دقنة في هدوء: "أنا لا أهرب، ولكنني الآن، دوماً وكما أُمرت لا أوالي للكافرين" وقبض على عثمان ووضعت يديه ورجليه في اغلال ثقيلة" وبهذه الطريقة الدراميَّة تمَّ القبض على "الدرويش الرهيب"، كما يصفه ونجت، في ١٢ يناير ١٩٠٠م، وبذلك أُسدل الستار على حياة محارب شرس، كانت حافلة بالمجاهدات، ليقضي ستة وعشرين عاماً في سجون الدولة التي حاربها ببسالة، أي فترة سجنه تقل عاماً واحداً عن فترة اعتقال المناضل نيلسون مانديلا ١٩٦٢-١٩٩٠م في جنوب إفريقيا ولكن الفرق بين خواتيم حياة المناضلين الجسورين فرق شاسع إذ انتهت حياة عثمان دقنة بالوفاة في محسبه بوادي حلفا في ديسمبر ١٩٢٦م، بينما تُوجت حياة مانديلا بتنصيبه أول رئيس أسود منتخباً لجنوب إفريقيا في ١٠ مايو ١٩٩٤م

ما أهميَّة كتاب جاكسون لمكتبة الدراسات المهديَّة؟
تكْمُن أهميَّة كتاب جاكسون في النقاط الآتية :
أولاً :يعتبر الكتاب جزءاً مهماً ومكملاً لوثائق المهديَّة التي نشرها أبوسليم في كتابيه، "مذكرات عثمان دقنة" و"محررات عثمان دقنة"، وذلك فيما يختص بالقوات العسكريَّة البريطانيَّة والمصريَّة التي دخلت في سلسلة من الحروب الشرسة مع الأمير عثمان دقنة في شرق السُّودان والمقارنة بين المعلومات العسكريَّة والسياسيَّة الواردة في هذه المدونات المصدريَّة المتقابلة، تساعد الباحثين في تكوين صورة كاملة لمفردات الأحداث العسكريَّة التي وقعت بين الطرفين في شرق السُّودان
ثانياً: شكَّل الفصلان الثامن والتاسع مصدراً رئيساً لكل التراجم التي كُتبت عن عثمان دقنة، ابتداءً من رتشارد هل، "معجم الشخصيات السُّودانيَّة"، ومروراً بمحمد إبراهيم أبوسليم، "مذكرات عثمان دقنة"، وانتهاءً بعون الشريف قاسم، "موسوعة القبائل والأنساب في السُّودان" أجمعت هذه المراجع أن تاريخ وفاة عثمان دقنة كان في العام 1926م، دون تحديد اليوم والشهر إلا أن حسن دفع الله في مقاله "مذكرة عن السجناء السياسيين بوادي حلفا"، وحسن أحمد إبراهيم، في مقاله "سياسة الحكومة الثنائيَّة تجاه سجناء المهديَّة السياسيين"، قد اختلفا في تحديد السنة، فأرجعا تاريخ الوفاة إلى ٧ ديسمبر ١٩٢٧م إلا أننا نرجح الظن بأنَّ عثمان دقنة قد توفي في السابع من ديسمبر ١٩٢٦م

ثالثاً: إذا كان محمد إبراهيم أبوسليم حُجةً في دراسات المهديَّة بفضل تحقيقاته الرائدة، التي شملت "الآثار الكاملة للإمام المهدي"؛ و"محررات الخليفة عبد الله"، و"محررات عبد الرحمن النجومي"، و"محررات عثمان دقنة"، و"العالم المجاهد حسن العبادي"، و"عالم المهديَّة الحسين إبراهيم زهرا وأعماله"؛ فإنَّ بدر الدين حامد الهاشمي قد أسدى خدمةً جليلةً للمكتب العربيَّة-السُّودانيَّة، بفضل ترجمته لكثيرٍ من الأدبيات التي نُشرت عن تاريخ المهديَّة باللغة الإنجليزيَّة، وأصدرها في سلسلته المعروفة بـ "السُّودان بعيون غربيَّة"، كما ترجم كتاب "مدينة مُقدَّسة على النِيل: أمدرمان في غضون سنوات المهدية، 1898-1885م" لمؤلفه روبرت كريمر، والآن يرفد الباحثين العرب في مجال دراسات المهديَّة وسير أعلامها بترجمة جيِّدة الصِنْعَة؛ لكتاب "عثمان دقنة"، لمؤلفه هنري سيسل جاكسون؛ فله التهنئة المُسْتَحقَّة، والتوفيق والسداد في أعماله القادمات

عندما اسر البريطانيون عثمان محمد دقنة توجه اللورد هيربرت كتشنر الي سواكن متلهفاً لرؤيته والتحادث معه ان المنتصر هنا يطلب ود المهزوم الذي ما ان رأى اللورد حتي ادار له ظهره رافضاً ان يقابله في انفة وعزة لاتجدها لدي اسير
لما لايسعي الجنرال الكبير لرؤية هذا الرجل الاسطوري الذي هزم خيرة

جنرالات الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس ومرغ سمعة بريطانيا العظمي في التراب

ان اللورد يخبر محمد عثمان دقنة بأنه من الممكن ان يخرج من المعتقل ويقيم في اي مكان يروق له اضافة الي راتب شهري كبير مقابل ان يتعهد بترك الجهاد كان ذلك عرضًا يسيل له اللعاب ولكن هيهات فهاهو الرجل يرفض كل التنازلات التي يقدمها له الد اعدائه وهو في قبضتهم لم يكن اللورد كيتشنر وحده هو الذي سعي جاهدا لرؤية عثمان محمد دقنة بل أيضاً جورج الخامس ملك بريطانيا توقف في سواكن اثناء رحلته الي الهند درة التاج البريطاني يتوقف فقط لرؤية الرجل القابع في سجن البلدة معتصما بصمت فلسفي عميق وعندما وصل ملك بريطانيا الي سواكن رفض عثمان دقنة مقابلته مما اضطر الملك للذهاب الي السجن بنفسه وسط ذهول كبار مرافقيه وفي السجن ايضا رفض اسد الشرق الخروج من زنزانته لمقابة الملك عندئذ اصر الملك الذي ازداد تشوقا لمقابلة الاسير اصر علي الذهاب بنفسه الي الزنزانة حيث يربض الأسير الاسطوري والذي الهب خيل الصحافة الاوربية الا ان عثمان دقنة ادار للملك ظهره منكباً علي مصحفه يقرأ فيه عندئذا اخرج الملك سيفه وحيا البطل الاسير ثم خرج مذهولاً

ان عثمان محمد دقمة لم يتكلم الا مع نعوم شقير الذي استجوبه في سواكن عقب اسره

كما ان دقنة كان قد الف كتابا مذكرات عثمان محمد دقنة ومن خلال الكتاب واستجواب نعوم شقير عرفنا بوضوح عن الانتصارات الباهرة الي حققها رغم قلة أسلحته

تكتيكاته الحربية:

ان نظريةعثمان نظرية الاختراق من مؤخرة العدو لا تزال تدرس في كلية الاركان في كامبرلي فقد اعتمد السيد عثمان دقنة علي اسلوب نشر الكمائن للعدو ووضع طعم لجذب عدوه الي ارض القتل المفضلة حيث يبدا العدو بمطاردة الانصار وفجاة تظهر قوات دقنة المختبئة لتخترق اضعف نقطة للعدو في المؤخرة

هناك مثال عجيب لتكتيكات هذه العبقرية العسكرية ففي معركة كرري نصب دقنة كميناً رهيبا للقوات البريطانية فقد خبأ قواته الرئيسية الضاربة داخل خور شمبات ووضع بضعة مقاتلين في اعلي الخور سادا الطريق الي ام درمان فهجم البريطانيون علي هؤلاء المقاتلين دون ان ينتبه للقوة المختبئة في الخور اندفع البريطانبون نحو الخور بقوة صدمة الجياد التي انطلقت بأقصي سرعتها ووصلت إلي الخور فجأة برزت قوة دقنة من تحت الارض وابادت الكتيبة البريطانية ولم ينجو سوي القليل منها بعد سنوات سأل تشرشل احد قادة السفن المدرعة كابتن بيتي الذي شارك في معركة كرري فأجابه:لقد رأيت من ظهر السفينة كمين عثمان دقنة ولم افهم غرضه الي ان رأيتكم تندفعون نحوه و خفت ان اطلقت نيران

المدافع الرشاشة أن تصيبكم
أثار منح الرئيس السوداني عمر البشير الرئيس التركي رجب طيب أردوغان جزيرة سواكن الواقعة على سواحل البحر الأحمر شرقي البلاد لإعادة ترميمها على أن تكون تحت الإدارة التركية لفترة زمينة غير معلنة تساؤلات عديدة في العاصمة السودانية الخرطوم فجزيزة سواكن التي تبعد بنحو ٧٠٠ كم عن العاصمة الخرطوم، تعد مركزاً حضارياً يرتبط في أذهان السودانيين بمقاومة المستعمر العثماني الذي تكتظ الجزيرة بآثاره إلا أن عوامل الطبيعة أثرت في معظم مباني الجزيرة وتعرض معمارها للتلف بسبب الاعتماد على الحجر الجيري في تشييده، ويسكن ما تبقى من سكان الجزيرة في الوقت الحالي في أكواخ

وتوسعت سواكن على الساحل وما جاوره، فأصبحت مدينة سواكن الحالية، وتعد منطقة تاريخية قديمة، تضم منطقة غنية بآثار منازل من القرون الوسطى مبنية من الحجارة المرجانية ومزدانة بالنقوش والزخارف الخشبية وتضم المنطقة ثاني أكبر ميناء في البلاد لتصدير البترول والثروة الحيوانية، وتشكل جزيرة سواكن المنفذ الرئيسي للحجاج السودانيين والأفارقة إلى الأراضي المقدسة

ولا يعرف تاريخ محدد تأسست فيه سواكن، ولكن الكثير من الشواهد تدل على أن الجزيرة كانت مأهولة منذ تاريخ موغل في القدم، واشتهرت بعد ظهور الإسلام، وازدادت شهرة بعد أن استطاعت أن تحل محل عيذاب كمنفذ تجاري لممالك السودان القديمة وميناء إفريقيا الأول للحجيج

وأثارت الخطوة التي أعلنها الرئيس التركي رجب طيب أردوغان عقب زيارة خاطفة قام بها للجزيرة، ردود أفعال متباينة في الشارع السوداني وعلى الرغم من التباين إلا أن التساؤلات حول ما تريده تركيا من السيطرة على الميناء القديم، الذي يرمز للقائد التاريخي السوداني عثمان دقنة الذي قاد ثورة مواطني شرق السودان ضد المستعمر العثماني وتمكن من طرده من الجزيرة، لا تزال هذه التساؤلات قائمة واعتبر النائب البرلماني عن دوائر شرق السودان، أحمد عيسى هيكل، أن جزيرة سواكن ستكون نافذة لتركيا في سواحل البحر الأحمر للتمدد في المنطقة

وفى رأي هيكل الذي تحدث لبوابة العين الإخبارية، فإن الأتراك قصدوا من تولي جزيرة سواكن ترميمها لإحياء التاريخ العثماني المتمركز فيها، ومن ثم تحقيق مكاسب مادية، للأهمية السياحية للجزيرة، والتي يتوقع أن تكون قبلة العالم للتعرف على آثار الدولة العثمانية وشدد على أن مدينة سواكن كانت الثالثة في العهد العثماني لكونها تمتاز بموقع استراتيجي

وميناء شكّل المرسى الرئيسي للأسطول العثماني وقتها، وقال إن الفائدة التي سيركز عليها الجانب التركي قبل العائد المالي وضع الجزيرة كنافذة لولوج بعض الدول خاصة، وأن أنقرة تسعى لدور إقليمي ودولي

ووصف الخبير العسكري الفريق خليل محمد الصادق منطقة سواكن بالمهمة والاستراتيجية من الناحيتين الأمنية والاقتصادية وقال في حديث لبوابة العين الإخبارية إن الذي يحوز المنطقة يمكنه السيطرة على حركة التجارة والنشاط الاقتصادي البحري وأكد الصادق أهمية جزيرة سواكن كموقع أثري، ويمكن أن يكون قبلة لسياح العالم ويعود بمليارات الدولارات سنوياً

تحققوا منه نقض العهد وموالاة الأعداء سرا، فقتلوه في مسجد العيينة بعد انتهائه من صلاة الجمعة 1
عثمان بن حمزة - ١٤٧ هـ = - ٧٦٤ م عثمان بن حمزة بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب: أحد الاشراف المقدمين كان في جملة البعوث التي ذهب إلى الأندلس
وأقام بطليطلة إلى أن استولى عبد الرحمن عثمان على الأندلس، فامتنع عليه عثمان في جماعة، فقاتلهم عبد الرحمن، وأسر عثمان فصلب بقرطبة ٢

عثمان بن حنيف - بعد ٤١ هـ = - بعد ٦٦١ م عثمان بن حنيف بن وهب الأنصاري الأوسي، أبو عمرو: وال، من الصحابة شهد أحدا وما بعدها وولاه عمر السواد، ثم ولاه علي البصرة ولما نشبت فتنة الجمل بين عائشة وعلي دعاه أنصار عائشة إلى الخروج معهم على علي، فامتنع، فنتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه، واستأذنوا به عائشة فأمرتهم باطلاقه، فلحق بعلي وحضر معه الوقعة ثم سكن الكوفة، وتوفي في خلافة معاوية ٣

من إحدى القبائل العربية، وقيل: من أسرة تركية استوطنت السودان الشرقي قبل أربعة قرون، وقيل: كردي وصحة لقبه " دقنو " ولد ونشأ وتعلم في سواكن
وتعاطى التجارة، واتسعت ثروته وتاجر في الرقيق، فاستولت حكومة السودان على أمواله وأملاكه، فقصد القاهرة يشكو إلى الخديوي إسماعيل ما حل به، فلم يلتفت إليه وقامت ثورة " المهدي السوداني " في الأبيض، فرحل إليه، وبايعه، فوالاه السودان الشرقي، وقاتلته الجيوش المصرية والبريطانية، فظفر وأسر كثيرين ومات " المهدي " فوالى خليفته " التعايشي " واستمر يدافع ويهاجم إلى أن خانه أحد أقربائه فأسلمه إلى أعدائه سنة ١٣١٨ هـ - ١٩٠٠ م فحمل أسيرا إلى دمياط، ثم إلى " وادي خلفا " حيث مات في سجنه كان موصوفا بالمقدرة والدهاء وسعة الحيلة

في الحروب، معتدل القامة، أقرب إلى الطول، عريض الكتفين، واسع العينين، سريع الحركة، شديد الاحتمال للمشاق، له علم بالتفسير والحديث، يحسن مع العربية التركية والبجاوية لغة السودان ويلفظ لقبه " دقنه " بالقاف الشبيهة بالجيم المصرية " Dignah " وأخباره كثيرة ٢ عثمان دقنه عثمان بن ربيعة - نحو ٣١٠ هـ = - نحو ٩٢٢ م عثمان بن ربيعة الأندلسي: أديب
له " طبقات الشعراء بالأندلس " ١
ورش ١١٠ - ١٩٧ هـ = ٧٢٨ - ٨١٢ م عثمان بن سعيد بن عدي المصري: من كبار القراء غلب عليه لقب " ورش " لشدة بياضه أصله من القيروان، ومولده ووفاته بمصر ٢
الدارمي ٢٠٠ - ٢٨٠ هـ = ٨١٥ - ٨٩٤ م عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني، أبو سعيد: محدث هراة له تصانيف في الرد على الجهمية، منها " النقض على بشر المريسي - ط " سماه ناشره رد الامام الدرامي عثمان بن سعيد، علي بشر المريسي العنيد "! وله " مسند
ولد محمد أحمد بن عبد الله في قرية قرب دنقلة سنة ١٨٤٤م، ونشأ نشأة دينية، واستفاد من تعليمه الديني من الشيخ محمد الخير فتعلم النحو والتوحيد والفقه والتصوف، وأخذ عن الشيخ محمد شريف ود نور الدايم مزيداً من الدروس في علوم الشريعة والتصوف على الطريقة السمانية، واستمر متصلاً بشيخه حتى حدثت جفوة بينه وبين شيخه، فدخل محمد

أحمد في طريقة الشيخ القرشي ود الزين بأرض الجزيرة – بين النيلين الأبيض والأزرق- وكان الشيخ القرشي من أتباع الطريقة السمانية، وبعد وفاة شيخه انطلق إلى جزيرة آبا، وتوافد عليه المريدون، وبدأ دعوته سراً عام ١٨٨٠م، وجهراً في العام التالي، وكثر أتباعه، وذاع صيته في كل السودان، وظل محمد أحمد يلقب بالفقيه، حتى أعلن عن نفسه أنه "المهدي المنتظر"، وصار يعرف بهذا الاسم منذ ذلك الحين، وتقوم فكرته على الإصلاح الديني والاجتماعي، عن طريق العودة إلى التشريع الإسلامي في عهوده الزاهرة، وفتح باب الاجتهاد، وإقامة الحدود الشرعية، وقد تجلى ذلك في نص البيعة التي يبايعه بها مريدوه هي: "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الوالي الكريم، والصلاة على سيدنا محمد وآله، أما بعد فقد بايعنا الله وبايعناك على توحيد الله، وألا نشرك به أحداً، ولا نسرق ولا نزني، ولا نأتي ببهتان ولا تعطيل في معروف، بايعناك على زهد الدنيا، وتركها والرضى بما عند الله رغبة بما عند الله والدار الآخر، وعلى أن نفرض الجهاد

كان المهدي يعيش مفتوح الذهن والقلب على المرارة والظلم والفساد الذي كان يكتوي به الشعب السوداني، وشهدت جزيرة آبا تكاثر المريدين والزوار وذوي الحاجات على المهدي

ما قبل المهدية:

بدأ المهدي في مرحلة مبكرة بإظهار امتعاضه من الأحوال في السودان من حيث الفساد الحكومي المتفشي في الحكم المصري ومظاهر البعد عن الدين والمجاهرة بالمعاصي، ودعا الناس إلى الزهد والتمسك بالدين والبعد عن المعاصي، وقد ذاع صيته واجتمع حوله عدد من الأتباع والمريدين الذين يعرفون في السودان بالحواريين، وصار كهفه في الجزيرة أبا مزارا لطالبي الوعظ والبركات، ويظهر فكرة في خطاب أرسله إلى القاضي الضو بن سليمان قاضي فشودة يقول فيه:

"فكامل الوصايا لي ولك بتقوى الله العظيم التي أوصى بها كافة الأمم، وقد علمت يا حبيبي أن الدنيا سريعة الانقضاء وكل ما فيها مصحوب بكسفة الفناء والفراق ومخلوط بماء الندامة الا ما كان لله، قال :"الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان منها لله"

تكليفه بالمهدية:

اعتقد المهدي بتكليفه من الله عز وجل بالقيام بمهام الثورة المهدية، وأعلن أنه قد وصلته أوامر إلهية ونبوية عن طريق الرؤى في المنام والهواتف في حال اليقظة، يقول المهدي في خطابه إلى محمد الطيب البصير بتاريخ ٤ نوفمبر ١٨٨٠:

"لا يخفى عزيز علمكم أن الأمر الذي نحن فيه لا بد من دخول جميع المؤمنين فيه إلا من هو خالٍ من الإيمان، وذلك مما ورد في حقائق غيبية وأوامر إلهية وأوامر نبوية أوجبت لنا مهمات صرنا مشغولين بها، و ثم تواترت الأنوار والبشاير والأسرار والأوامر النبوية والهواتف الإلهية بإشارات وبشارات عظيمة"

إعلان الثورة:

وقد أعلن محمد أحمد المهدي ثورته سنة ١٨٨١م وكان أهم أهدافها:

- وضع حد لتسلط الباشوات والموظفين الأتراك والشراكسة والأوروبيين

-إيقاف النهب الاستعماري للسودان

-محاربة الفساد الإداري وإرهاق الشعب السوداني بالضرائب ذات المسميات المختلفة

-الدعوة إلى رفض السلطة العثمانية

-اتصاله بالثورة العرابية وتعاطفه معها، حيث كان يتفق معها لمقاومة الاستعمار البريطاني

ازدادت ثورة المهدي اضطراماً بانضمام العناصر الساخطة على الحكومة للدعوة الجديدة كتجار الرقيق، وزعماء القبائل، خصوصاً عبد

الله التعايشي زعيم قبائل البقارة والذي أصبح فيما بعد الساعد الأيمن للمهدي وخليفته من بعده، وأطلق المهدي على أتباعه لقب الأنصار، وكان المسئول عن إدارة شئون السودان في ذلك الوقت في سنة ١٨٨١م الحكمدار رؤوف باشا الذي وجد نفسه أنه لا يستطيع الاعتماد على القاهرة، فالثورة العرابية كانت مشغولة بنفسها وبالخطر المحدق بها، فأرسل إلى المهدي في مقره في أبا، قائلاً له: "اذهب إلى الخرطوم، واحظَ بالمثول بين يدي سيد البلاد لكي تبرئ ساحتكم"، فرفض المهدي هذا الطلب

معركة آبا: في ١٢ أغسطس سنة ١٨٨١م:

جرد رؤوف باشا كتيبة من مائتي جندي إلى جزيرة آبا بقيادة أبي السعود العقاد، ليأتوا له بالمهدي سجيناً، ولكن محمد أحمد المهدي كان متيقظاً، فأعد رجاله وأنصاره -وكانوا يسمون الدراويش- للقتال، فما إن نزل الجند من الباخرة التي أقلتهم وبلغوا القرية، حتى انقض عليهم رجال المهدي، وفتكوا بهم جميعاً وكانوا ١٢٠ جندياً، وستة ضباط، أما أبو السعود فلم يكن غادر الباخرة، خوفاً على نفسه، فلما علم بما حل بالجند انسحب إلى الخرطوم، وأخبر رؤوف باشا ما فعله المهدي برجاله، وهذه أول معركة انتصر فيها المهدي

وقد ظهر بعد النظر السياسي وعبقريته العسكرية بوضوح في قراره بالهجرة بعد هذا الاشتباك من جزيرة آبا إلى جبل قدير من جبال النوبة، ذلك أن هذه الهجرة، فضلاً عن محاكاتها لمثال النبي صلى الله علي وسلم، أدت إلى نقل الثورة من منطقة مفتوحة تعوزها وسائل الدفاع وتقع على مقربة من قوات الحكومة الأنجلو- مصرية إلى منطقة نائية ومحصنة من الناحية الاستراتيجية، وكانت هذه الهجرة نقطة تحول فعلية في تاريخ الحركة المهدية، تكمن أهميتها الكبرى في أن نقل الثورة من الأقاليم النهرية إلى غربي السودان ترتب عليه أن أصبح أبناء غرب السودان منذ ذلك الوقت هم أهم القادة الإداريين والعسكريين، بينما تضاءلت أهمية الأقاليم النهرية تدريجياً

معركة راشد: ٩ ديسمبر ١٨٨١:

علم راشد بك أيمن مدير فاشودة بوجود المهدي في جبل قدير، فاعتزم السير إليه في جيشه، للقبض عليه، ولكنه أخطأ أيضاً في تقدير قوة المهدي، ولم يأخذ للأمر عدته، فكمن له أتباع المهدي في الطريق وانقضوا عليهم، فقتل راشد باشا ونحو 1400من رجاله، وغنم المهدي جميع أسلحة الحملة وذخائرها، وهي أول الوقائع الكبيرة التي مكنت للمهدي في البلاد

معركة الشلالي: ٢٩ مايو سنة ١٨٨٢م:

عزلت الحكومة المصرية رؤوف باشا، وعينت مكانه عبد القادر باشا حلمي ناظراً وحكمداراً للسودان، وأثناء فترة التغيير، كان يتولى الأعمال جيكلر باشا النمساوي رئيس مصلحة التلغراف السودانية بالنيابة عن الحكمدار، فجرد حملة بقيادة يوسف باشا الشلالي مؤلفة من نحو أربعة آلاف مقاتل، فلما اقتربت من معقل المهدي في جبل قدير انقض عليها المهدي بجموع حاشدة تبلغ نحو خمسة عشر ألفا، يوم ٢٩ مايو سنة ١٨٨٢م، وباغتوا الجند ليلاً وهم نيام، ففتكوا بهم فتكاً ذريعاً، وقتل يوسف باشا الشلالي، وغنم المهدي أسلحة الجيش وذخائره، فازداد بها قوة، وذاع سيطه في مختلف الأرجاء، وخاصة في كردفان، وتضعضعت هيبة الحكومة، وصدق الأهالي دعوة المهدي بعد هذه الانتصارات، وانهمرت عليه جموع السودانيين مبايعة ومؤيدة

استيلاء المهدي على باره والأبيض: يناير سنة ١٨٨٣م:

هاجم المهدي الأبيض عاصمة كردفان بجيش قوامه خمسين ألف مقاتل من أتباعه، وكانوا يلقبون بالدراويش، يوم ٨ سبتمبر سنة ١٨٨٢م، واشتبك مع الجيش المصري المؤلف من ستة آلاف مقاتل بقيادة اللواء محمد سعيد باشا حكمدار غربي السودان، انتهت المعركة بهزيمة جيش المهدي، بعد أن فتكت بهم نيران المدفعية والبنادق، وقتل منهم عدة آلاف، وكان من القتلى شقيق المهدي، وشقيق عبد الله التعايشي، ولكن المهدي عاود المحاولة مرة أخرى، وحاصر باره إحدى المواقع الهامة في

كردفان، حتى سقطت في ٥ يناير سنة ١٨٨٣م، ثم حاصر الأبيض، وسد عليها المسالك، حتى استسلمت للمهدي، ودخلها يوم ١٩ يناير سنة ١٨٨٣م، وغنم مخازن الأسلحة، فكان مجموع ما غنمه في معاركه: ٦٤٠٠ بندقية، وثلاثة عشر مدفعاً، ومقادير كبيرة من الذخائر

معركة سنار: يناير وفبراير سنة ١٨٨٣م:

كانت الحرب سجالاً بين قوات الحكومة والمهدي، فاعتزم الحكمدار عبد القادر باشا الخروج إليهم بنفسه، فخرج من الخرطوم في يناير سنة ١٨٨٣م يقود قوة من الجند، والتقى بالثوار في غابة قرب معتوق فأوقع بهم وهزمهم، ثم اكمل بجيشه إلى منطقة مشرع الداعي شمالي سنار، ووقعت معركة كبيرة مع الثوار دامت أكثر من ثلاث ساعات، قتل فيها من الثوار نحو ألف رجل، وأصيب عبد القادر باشا إصابة طفيفة، وانتهت المعركة بتشتيت شمل الثوار، ودخل عبد القادر باشا سنار، واستولى عليها، وضيق على المهدي المسالك، وشعر المهدي بخطره، فكان يدعو الله عقب كل صلاة بقوله: "يا قوي يا قادر اكفنا عبد القادر "

معركة المرابيع: ٢٩ أبريل سنة ١٨٨٣م

قامت الحكومة المصرية بضغوط من بريطانيا بعزل عبد القادر باشا، وتعيين علاء الدين باشا حكمداراً لعموم السودان، وإرسال نحو ثلاثة عشر ألف مقاتل من فلول جيش أحمد عرابي الذي بقي بعد الاحتلال البريطاني لمصر إلى السودان، تحت قيادة رئيس أركان الجيش الجنرال

الإنجليزي وليام هكس باشا، وكانت أول مواجهة للثوار مع هذا الجيش في المرابيع، وكانت النتيجة هزيمة الثوار مما أغرى الجنرال هكس بالزحف نحو المهدي في كردفان

استيلاء المهدي على منطقة البحر الأحمر:

قام المهدي بإرسال أحد أتباعه وهو عثمان دقنة من منطقة سواكن، إلى شرق السودان لنشر الدعوة المهدية في تلك المنطقة، والثورة على الحكومة، لكي يشتت قواتها، ونجح عثمان دقنة في مهمته

فهاجم عثمان دقنة مدينة سنكات في ٥ أغسطس سنة ١٨٨٣م، ولكنه لم يستطع السيطرة عليها بسبب استبسال الجيش المصري بقيادة توفيق بك في الدفاع عن المدينة، فانسحب إلى جبل أركويت، وظلت الحرب سجالاً بين جنود الحكومة وجموع الدراويش، وحاصر هؤلاء الدراويش مدينة طوكر فخرج اللواء محمود باشا طاهر في قوة من الجند تبلغ ٥٥٠ رجلاً لنجدة طوكر، يصحبه الكابتن مونكريف قنصل إنجلترا في جدة، فتربص بهم الدراويش في آبار التيب يوم ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣م، فأوقعوا بهم قتلاً، وفر طاهر باشا إلى سواكن، وبعد هذه المعركة وضع عثمان دقنة سواكن تحت الحصار، فصارت القواعد المصرية الثلاث المهمة وهي: سواكن، وطوكر، وسنكات، محاصرة بجموع الدراويش، وموقفها في غاية الحرج، ثم حشد عثمان دقنة نحو ثلاثة آلاف من رجاله ونزل بهم إلى آبار طماي على نحو ٢٠ ميلاً من سواكن، وأخذ يهاجمها، وقطع

الطريق بينها وبين سنكات، وشدد الحصار على سواكن، فخرج إليه الضابط كاظم أفندي على رأس قوة من خمسمائة من الجنود السودانيين و٢٠٠ من الباشبوزق والتقى الجيشان يوم ٢ ديسمبر سنة ١٨٨٣م، بالقرب من طماي التمنيب، حيث انتصر الدراويش ولم ينجُ من جيش كاظم باشا سوى ٤٥ رجلاً

معركة شيكان الكبرى: ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣م:

وتعتبر معركة شيكان نقطة تحول أخرى في تاريخ الثورة المهدية، ففي ذلك الوقت كان الخديوي توفيق وحكومته قد عقدوا العزم على سحق المهدي الذي أصبح يسيطر على جميع المدن الرئيسية في إقليم كردفان، وبناءً عليه قامت الحكومة المصرية بتنظيم حملة مكونة من بقايا جيش عرابي بقيادة ضابط بريطاني هو هكس باشا، وكان تعداد جيشه ثلاثة عشر ألف مقاتل، فسار من الخرطوم إلى الأبيض عاصمة كردفان، ولكنه لم يقدر قوة خصمه، فقطع مسافة مائتي ميل، حتى بلغ يوم ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣م وادياً مفتوحاً تحيط به من الجانبين غابة كثيفة، وقد أصاب جيشه العطش الشديد، فلم يكد الجيش يدخل هذا الوادي حتى أطبقت عليه جموع الثوار من كل جانب، واخترقوا صفوفه، وأمعنوا في الجنود ذبحاً وقتلاً، فكانت واقعة أشبه بمجزرة بشرية، قتل فيها الجيش برمته، قواده، وضباطه، وجنوده، ومنهم هكس وأركان حربه، ولم ينجُ من القتل سوى ملازمين اثنين، وثلاثمائة جندي، اختبأوا بين الأشجار، وأخذوا أسرى

ارتجت أنحاء السودان لانتصار المهدي في واقعة شيكان، وزادت هيبته في نفوس الأهلين، والحكام، وتداعت سلطة الحكومة المصرية أمام هذه الكارثة، وبادر الحكام الأجانب الذين كانوا يتولون حكم المديريات إلى التسليم للمهدي، ففي ديسمبر سنة ١٨٨٣م سلم رودلف سلاطين باشا في داره، وكان وقتئذ حاكماً على دارفور، ثم سقطت الفاشر عاصمة المديرية، ودانت دارفور كلها لسلطة المهدي في يناير سنة ١٨٨٤م، وسلمت مديرية بحر الغزال في أبريل سنة ١٨٨٤م

وفي تلك الأثناء طرأ تغيير جوهري على السياسة البريطانية تجاه المسألة السودانية بعد معركة شيكان، فبينما كانت بريطانيا ترى من قبل أن المسألة تخص مصر وحدها، فإنها شعرت بعد معركة شيكان أن مصالحها الإمبراطورية تقتضي انسحاب مصر من السودان فوراً، ومن ثم أمرت الحكومة المصرية بالتخلي عن السودان وأوفدت الجنرال تشارلز غوردون كي يشرف على تنفيذ ذلك

معركة التيب الثانية: ٤ فبراير سنة ١٨٨٤م، وسقوط سنكات:

في أوائل فبراير تقدمت قوة مصرية تبلغ ثلاثة آلاف وستمائة مقاتل بقيادة بيكر باشا من ترنكتات، قاصدين طوكر، فلما وصلوا إلى آبار التيب فاجأهم جنود المهدي وانقضوا عليهم بجموعهم الحاشدة، فقتل من الجيش المصري نحو ٢٣٠٠، منهم ٩٢ ضابطاً، وشدد الثوار بعدها الحصار على سواكن حتى سقطت بعد أن قتل جميع الجنود المصريين فيها وبعد

إخلاء الجنود المصريين من السودان، عمدت القوات البريطانية لاحتلال المناطق التي تخليها القوات المصرية، فاحتلت سواكن

معركة التيب الثالثة: ٢٩ فبراير سنة ١٨٨٤م:

هاجمت قوة إنجليزية بقيادة الجنرال جراهام جموع الدراويش في التيب فانتصرت عليهم وأوقعت بهم وأجلتهم عن آبار التيب ثم هاجمت جموع عثمان دقنة في طماي، وانتصرت عليهم كذلك، وأخلى عثمان دقنه طماي، واعتصم بالجبال، وكان غرض هذه الحملة هو تأمين بريطانيا لمراكزها على البحر الأحمر ورغم الانتصارات التي أحرزها جراهام على قوات عثمان دقنة إلا أنه لم يستطع القبض عليه، كما أنه أخفق في خطته الرامية إلى مد خط سكة حديدي من البحر الأحمر إلى مصر بأمر من الحكومة البريطانية

المهدي يحاصر الخرطوم:

استمرت ثورة المهدي توسع نفوذها في السودان حتى وصلت العاصمة الخرطوم، وحاصرت الجنرال البريطاني جوردون، وأرسلت بريطانيا بالاشتراك مع مصر جيشاً لإنقاذه بقيادة الجنرال اللورد ولسلي ، وصلت الحملة إلى السودان عن طريق وادي حلفا، ثم انقسمت إلى جزءين،

أحدهما اتخذ طريق الصحراء بقيادة الجنرال هربرت ستيوارت، والآخر اتخذ نهر النيل بقيادة الجنرال أرل

معركة أبي طليح: ١٧ يناير سنة ١٨٨٥م:

التقت الحملة الإنجليزية بجموع الدراويش في آبار أبي طليح، وهناك نشبت واقعة كبيرة انتهت بهزيمة الدروايش بعد أن حصدتهم نيران المدافع حصداً، واستمرت الحملة في زحفها حتى وصلت إلى المتمة فاحتلتها، وفي أثناء زحفها التقت بجموع الدراويش مرة أخرى، وفي هذه المرة استطاع الثوار الدراويش قتل القائد الجنرال الإنجليزي ستيوارت، فتولى القيادة بعده الجنرال السير شارلس ويلسن، ثم اتجهت الحملة نحو الخرطوم عن طريق باخرتين لإنقاذ جوردون، ولكن بعد فوات الأوان، فقد استطاع الثوار دخول الخرطوم، وقتل الجنرال جوردون، وانقضوا على الحملة الإنجليزية واضطروها إلى الانسحاب بعد أن أدموها

معركة كربكان: ١٠ فبراير سنة ١٨٨٥م:

وفي خلال هذه الأحداث سار الجنرال أرل قائد حملة النيل من كورتي، يقود نحو ثلاثة آلاف من الجنود الإنجليز، يستقلون نحو خمسمائة قارب، أما الفرسان والمدفعية فقد ساروا حيال القوارب في الضفة الغربية للنيل، وسارت القوة المصرية في الضفة الشرقية، وبلغت الحملة معقل الدروايش في كربكان، فانقضوا على المعقل، وقتلوا جميع من فيه من

الدراويش، ولكن الدراويش استطاعوا قتل القائد الإنجليزي أرل، وبقيت هذه القوة معسكرة في كربكان، ومن ثم قررت الحكومة البريطانية العدول عن الزحف بعد سقوط الخرطوم ومقتل جوردون، فارتدت الحملة خائبة إلى مصر في يونيو سنة ١٨٨٥م

وكان أتباع المهدي استطاعوا اقتحام الخرطوم في ٢٦ يناير سنة ١٨٨٥م، بعد حصار طويل، وقتلوا الجنرال جوردون في قصره، بعدما قتل في هذه المعركة نحو ٢٤ ألف من سكان الخرطوم، وثمانية آلاف من الجنود المدافعين عن المدينة، وكان لسقوط الخرطوم ومقتل جوردون دوي كبير في مصر وفي العالم، إذ كان إيذاناً بانحلال الحكم المصري على السودان، وعلو شأن المهدي في السودان

القضاء على الثورة وعودة الاحتلال البريطاني المصري:

قررت بريطانيا تجهيز حملة مصرية بريطانية مشتركة بقيادة بريطانية عهد إليها مهمة احتلال السودان، ورغم مقاومة الخديوي والوطنيون المصريون لهذه الفكرة، ورفض صندوق الدين المصري الموافقة على تغطية نفقات الحملة، إلا أن بريطانيا كانت مصممة وغير مكترثة بالمعارضة، فساهمت بريطانيا بثلث نفقات الحملة، وقدمت ثلث قواتها، وفتحت لمصر حساباً جارياً بفائدة ٢٥% لتغطية باقي النفقات، وتحركت

الحملة المكونة من ٨٢٠٠ بريطاني، و٢٠٠٠٠ مصري وسوداني، في أيار سنة ١٨٩٨م بقيادة هربرت كتشنر، واحتلت دنقلة، وهزمت خليفة المهدي عبد الله التعايشي، وأجبرت قوة فرنسية على إخلاء فاشودة
وبينما كان كتشنر يتوجه جنوباً، عبأ التعايشي قواته وقد عقد العزم على مقاومة الغزاة، غير أن الأنصار، بقيادة الأمير محمود أحمد، لم ينجحوا في محاولتهم صد هجوم الأعداء في معركة عطبرة في ٨ أبريل ١٨٩٨م، وقد قتل في هذه المعركة حوالي ثلاثة آلاف سوداني، وجرح أكثر من أربعة آلاف، ووقع محمود أحمد في الأسر، وأودع السجن في رشيد بمصر، حيث توفي بعد بضع سنوات، وعقب هزيمة عطبرة، قرر الخليفة التعايشي مواجهة جيش كتشنر بالقرب من عاصمته أم درمان، لأنه أدرك أن صعوبات التموين والنقل ستحول دون تحرك أية قوات كبيرة من الجنود، ومن ثم فقد حارب السودانيون جيش كتشنر ببسالة فائقة في معركة كراري في الثاني من سبتمبر سنة 1898م، ولكنهم هزموا مرة أخرى نظراً لتفوق الأسلحة التي استخدمها العدو، وقد قتل نحو أحد عشر ألف سوداني وجرح نحو ستة عشر الفاً منهم، وعندما أدرك الخليفة أنه قد خسر المعركة، تراجع إلى شرق كردفان حيث كان يأمل في حشد مؤيديه وشن هجوم جديد على الغزاة في العاصمة، وقد ظل يمثل مشكلة للإدارة الجديدة طوال عام كامل، إلى أن هُزم نهائياً في معركة أم دويكرات في ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩م، وبعد انتهاء المعركة

عُثر على الخليفة وقد فارق الحياة على سجادة صلاته المصنوعة من فرو الأغنام، بينما قتل جميع قادة الحركة المهدية وزعمائها أو سجنوا، وكانت تلك الهزيمة هي الفاصلة في انهيار الدولة المهدية

وفاة المهدي:

أصيب المهدي في يونيو سنة ١٨٨٥م بحمى التهاب السحائي الشوكي، لم تمهله بضعة أيام حتى توفي في يوم ٢٢ يونيو سنة ١٨٨٥م، وهو في أوج قوته، وتولى حكم السودان من بعده خليفته عبد الله التعايشي، الذي لم يكن بكفاءته، مما أدى إلى تراجع التأييد لثورة المهدي، وحدوث خلاف بينه وبين كبار أنصار المهدي، ولكن التعايشي فرض سيطرته على أغلب السودان، وقامت مصر بالتراجع عن السودان إلى حدود وادي حلفا، ولكن استمرت المناوشات والمعارك في مناطق الحدود خلال سنوات ١٨٨٥-١٨٩١م، ولكن حالة السودان ساءت في عهد حكم التعايشي، وانتشرت المظالم والهمجية، واشتدت المجاعة بالناس، فمات الناس جوعاً خاصة عام ١٨٨٩م، وفتكت الأمراض بالناس، وكان ذلك من علامات زوال حكم التعايشي في السودان، بعد أن أدى إلى نشر الخراب في نواحيه

وفاته

وعند عودته من الأراضي المقدسة بعد ما أكمل مناسك الحج وضع دقنة رهن الاعتقال المنزلي وخصص له منزلاً صغير بجوار مركزٍ للشرطة في سواكن ليقضي فيه بقية حياته يصوم في النهار ويفطر في المساء علي اللبن والتمر ويقيم الليل بتلاوة القرآن وقد زاره في سجنه الملك جورج السادس ملك بريطانيا الذي توقف في سواكن أثناء زيارته للهند وتمت إعادته إلى سجن حلفا وفي ١٧ ديسمبر ١٩٢٧ م توفي الأمير عثمان دقنة ودفن في مقابر السيد إبراهيم الميرغني بوادي حلفا

وفي ٣٠ أغسطس ١٩٦٣م وعلي أثر تهجير مواطني وادي حلفا اثناء يناء السد العالي قررت حكومة الرئيس إبراهيم عبود نقل رفات الأمير عثمان دقنة من وادي حلفا وإعادة دفنه في مدخل مدينة سواكن وتم الكشف عن وجهه للتعرف عليه ومن ثم إعادة تكفينه ووضعه في تابوت خاص غطي بعلم السودان، نقل الرفات في احتفال رسمي إلى مدينة بورتسودان ومنها إلى عطبرة ثم إلى مدينة أركويت بشرق السودان حيث أقيم له ضريحاُ في إحدى الروابي العالية هناك وبجواره قائمة المعارك الأربع عشرة التي خاضها وانتصر فيها و تواريخ وقوعها بالتسلسل

أهم المصادر والمراجع

١. حروب المهدية- روبن نيللاند
٢. حرب النهر- ونستون تشرشل
٣. مذكرات يوسف ميخائيل- يوسف ميخائيل
٤. السودان عبر القرون- مكي شبيكة

٥. مع كتشنر الي الخرطوم- جورج استيفن
٦. كرري دراسة توثيق عسكرية- عصمت زلفو
٧. المهدي - محمد أحمد إسماعيل المقدم

تمثل شرق السودان نقطة انطلاق مهمة للثورة المهدية وذلك بعد أن التحق عثمان دقنة بالإمام المهدي في الأبيض ولقبه بأمير الشرق وبعث به إلى شرق السودان ليعمل على نشر المهدية في تلك المناطق ومن الأبيض توجه الأمير عثمان دقنة إلى قبائل البشاريين والأمرار وعمل على دعوتهم المهدية واستجاب الكثير منهم وانضموا لحركة المقاومة في شرق السودان وكان ذلك إيذانا ببداية الثورة المهدية في الشرق

ساهمت الطائفة المجذوبية في تعزيز روح المقاومة في نفس الأمير عثمان دقنة وأعطته دفعة قوية لمواصلة الثورة في شرق السودان ويمكن القول أن لقاء الإمام المهدي بالأمير عثمان دقنة في الأبيض كان له ما بعده حيث كمل كل واحد منهم الآخر فعثمان دقنة صاحب المبدأ الناغم

على الحكم التركي يبحث عن الثأر لنفسه وعقيدته وعشيرته والإمام المهدي يبحث عن نشر المهدية في كل السودان وبذلك اتحدت رؤية وقدرات الرجلين كان عثمان دقنة الرجل الانسب لتقلد زمام المهدية في شرق السودان وذلك لمعرفته بشرق السودان وقبائله وقد استغل الأمير عثمان غطاء المجذوبية أفضل استغلال[١]

أسلوبه القتالي

يلاحظ أن الأسلوب القتالي المستخدم عند الأمير عثمان دقنة كان يتغير من معركة إلى اخرى وهو يشبه أسلوب الامام المهدي القتالي حيث تدرج من الهجوم للحصار وتعتبر معركة أوكاك سنكات أول معركة يستخدم فيها عثمان دقنة اسلوب الهجوم ويمكن وصفه بالهجوم الانتحاري، ثم توالت معارك عثمان دقنة في شرق السودان حيث جاءت معارك قباب حيث استخدم فيها عثمان دقنة اسلوب حرب العصابات وهو اسلوب استخدمه أمير الشرق لضرب تحصينات المدن في شرق السودان، اوكاك سنكات، واقعة الساحل الأولى التيب الأولى، واقعة الساحل الثانية التيب

الثانية، واقعة الساحل الثالثة التيب الثانية، واقعة كسلا، واقعة عطبرة، واقعة التمنيب، واقعة التمنيب الانجليزية، واقعة محمود علي تهشيم

حروبه بالتفصيل

واقعة الساحل الأولى التيب الأولى
تعرف واقعة الساحل الأولى باسم التيب وهى تحريف للكلمة البجاوية انديتيب وقد حدثت هذه الواقعة بعد قرر الأمير عثمان دقنة مهاجمة سنكات اوكاك

حيث أرسل الأمير عثمان دقنة الخضر على الخضر لحصار طوكر فقرر سليمان نيازي مدير شرق السودان ارسال حملة بقيادة محمود باشا طاهر لفك الحصار عن طوكر وصحب الحملة قنصل بريطانيا في سواكن مونكريف وعندما تقدمت الحملة من ترنكتات نحو طوكر هجمت عليها قوات الأمير عثمان دقنة ففر البعض منها عبر البحر إلى سواكن وقتل عدد كبير من جنودها كما قتل مونكريف قنصل فرنسا في هذه الواقعة وفي ديسمبر من عام ١٨٨٣م استطاع عثمان دقنة ابادة حملة أخرى كانت في طريقها نحو سنكات قدر عدد هذه الحملة بـ ٥٥٠ رجلا وبعد مقتل مونكريف وفرار محمود باشا زادت الروح المعنوية لدى أنصار

عثمان دقنة وتم وصف محمود عبدالقادر بالجبن وتم عزله من منصبه بعد هذه الواقعة

واقعة الساحل الثانية(التيب الثانية)

فكر عثمان دقنة في حصار مدينة سواكن ولتحقيق ذلك بعث مصطفى على هدل بغرض إثارة القبائل حول كسلا ثم حصارها ثم نجح عثمان دقنة في قطع الطريق التجاري بين سواكن – بربر الذى ترسل به التعزيزات إلى الخرطوم فأصبح بذلك الوضع في غاية الخطورة بالنسبة لبريطانيا ولكي لا تسقط كسلا في يد عثمان دقنة قررت السلطات البريطانية في مصر حملة بقيادة بيكر أخ صمويل بيكر مكونة من ٣٦٠٠ من الجندرمة وهم قوات البوليس التي تم تكوينها بعد تسريح جيش عرابي

يشير مكي شبيكة في كتابه السودان والثورة المهدية إلى أن مهمة هذه الحملة كانت بوليسية تتركز على حفظ الأمن لكن بيكر عمل على اعدادها اعداداً عسكريا ومن مهامها حماية الطريق التجاري بين سواكن – بربر الذي وقع تحت سيطرة قوات عثمان دقنة ، لكن في ٩ يناير صدرت الأوامر لبيكر بالتخلي عن فتح الطريق التجاري وان يعمل على انقاذ كل من سنكات وطوكر ولكن رغم هذه المهام الا أن معنويات قواته كانت في

الحضيض وقد وضح ذلك منذ لحظات ودعهم في القاهرة وفي الوقت نفسه لم يكن لهم دافع للقتال

كان بيكر يفاضل بين انقاذ سنكات وطوكر فسنكات كانت في أسوأ حالاتها لأنها تواجه الموت جوعا أما طوكر فقد كانت تعاني من نقص الذخيرة وقد وقع اختيار بيكر على انقاذ طوكر وذلك لصعوبة انقاذ سنكات ، وقد تحركت قواته نحو آبار التيب ووجد قوات عثمان دقنة تسيطر عليها وتشكلت قواته في شكل مربع وهو اسلوب قتالي معرف عند الانجليز عندها هجمت قوات الأمير عثمان دقنة على المربع مما أدي إلى فرار فرقة القاهرة والاسكندرية وانقلبوا على المربع وفرت القوات الانجليزية المصرية من المربع وتخلوا عن اسلحتهم وتم القضاء على الكثير من جنود الحملة قتل ألفين من جنود الحملة وفر بيكر مع فلول قواته إلى سواكن وتردى الوضع في سنكات وفشل وصول النجدات إليها فقرر قائدها الخروج منها بكل من معه وعلى بعد ميل من المدينة تمت ابادتهم واستطاع عثمان دقنة السيطرة على سنكات وفي نفس شهر فبراير استسلمت طوكر وغنم عثمان دقنة من معركة التيب الثانية ٦ مدافع و٣٠٠٠ بندقية و٥٠٠٠ قطعة ذخيرة وتعد من اهم معارك الأمير عثمان دقنة في شرق السودان

ساهم سقوط سنكات وطوكر وهزيمة بيكر في حدوث اضطرابات في سواكن وبعد أن أصبحت المصالح البريطانية في شرق السودان مهددة تخلت بريطانيا عن حذرها، وقررت ارسال ثلاثة فرق بقيادة الجنرال جرهام إلى سواكن والغرض الرئيس من هذه الحملة تخفيف الضغط عن سواكن واظهار قوة بريطانيا وفي نهاية شهر فبراير تحرك جرهام من ترنكتات واستطاع هزيمة الأمير عثمان دقنة وتمكن كذلك من احتلال طوكر ولكن اخلاها بسرعة وتراجع إلى سواكن والسبب في هذا التراجع السريع أن بريطانيا لا ترغب في بقاء قواتها خارج سوكن وهي لا تستطيع الاحتفاظ بهذه المدينة البعيدة رغم الهزائم التي لحقت بعثمان دقنة إلا أنه بقي محتفظاً بقدرتة على الحركة وظل يشكل خطراً على سواكن وتحول إلى اسلوب حرب العصابات واستطاع أن يلحق الكثير من الخسائر بالقوات الانجليزية – المصرية ونجح في عزل الخرطوم عن شرق السودان

معركة توشكي ٣ اغسطس ١٨٨٩

كانت خطة الأمام المهدي وحسب ما وعد أصاحبه أنه سوف يفتح مصر لذلك توقف الحلم قليلاً بعد فاته وعندما تولى الخليفة عبدالله السلطة عمل على تنفيذ خطة المهدي ولذلك سعى إلى انفاذ جيش النجومي المعد

مسبقا لهذه المهمة، تحرك هذا الجيش في أول الأمر من أم درمان ناحية الشمال حسب توجيهات الخليفة

مع بداية عام ١٣٠٣هـ/١٨٨٦م قام الخليفة عبد الله بإرسال الأمير عبد الرحمن النجومي إلى بربر ليتحرك منها إلى دنقلا، ومعه جميع قوات الراية الحمراء، وقد وصل إلى دنقلا في أواخر عام ١٣٠٣هـ/١٨٨٦م واتخذ منها معسكراً لقواته وقام بإرسال الطلائع إلى جنوب مدينة حلفا

كان عدد القوات التي تحركت نحو بربر تحت قيادة النجومي تقدر بحوالي سبعين ألفاً، وعندما وصلوا إلى بربر تفرق الكثير من تلك القوات في أنحاء البلاد ولم يبقَ منهم سوى عشرين ألف مقاتلٍ منهم عشرة ألفٍ من الجهادية الذين تمردوا علية ولكنه اكتشف هذا التمرد واستطاع أن يقضي على هذا التمرد، وبعد أن وصل إلى دنقلا قام الخليفة عبد الله بتعيين مساعد قيدوم مدعوماً بعدد من المقاتلين لكي يكون وكيلاً لعبد الرحمن النجومي

وحدث نفور واضح بين النجومي ومساعد قيدوم حتى وصل مرحلة أنّ كل واحد منهم يقوم باستعراض جيشه وحده، وفي عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٨م قام الخليفة باستدعاء الأمير عبد الرحمن النجومي إلى أم درمان وقام

بتأنيبه وتحقيره أمام الناس، وذكر له بأنه شخص منفعل ولا يصلح للقيادة، وفي أواخر عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٨م رجع النجومي إلى دنقلا بغرض التقدم نحو مصر، وعند حلول ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م انتشرت المجاعة في جميع أنحاء السودان، وقام الخليفة عبد الله بتعيين يونس لدكيم قائداً عاماً وعاملاً على دنقلا، وأمره بأن يضغط على النجومي لكي يتحرك نحو مصرلقد تم نقل يونس الدكيم من القلابات إلى دنقلا، وقد كان نقله بعد خلاف نشب بينه وبين حمدان أبو عنجه، وسبب هذا الخلاف أنّ يونس الدكيم قد تغول على سلطات حمدان أبو عنجة في القلابات، وتأكد الخليفة عبد الله من عدم استمرارهم مع بعض في القلابات ولذلك تم تعيين يونس الدكيم عاملاً على كل الجيش في دنقلا

ومما شجع الخليفة عبد الله للضغط على النجومي للتحرك نحو مصر أنّ عدداً من القبائل في جنوب مصر قد أبدت الموافقة على الوقوف مع قوات الخليفة عبد الله ضد القوات المصرية، ومن تلك القبائل قبيلة الجعافرة، ورغم مرض النجومي تحرك بجيشه الذي فرّ عدد كبير منه من دنقلا نحو الشمال وقام بصرف مقدار قليل من الذرة لكل مقاتل وهو شيء لا يكفي لإطعام قواته انضم إلى النجومي في دنقلا ٢٠٨٧ مقاتلاً من قبيلة البطاحين، وقد استقبلهم النجومي بعرضه كبيرة خارج المدينة، ورفع

لنجومي كشف شامل للخليفة بالأعداد التي انضمت إليه وسلاحهم ورایاتهم

لقد كان قوام قوات النجومي يتكون من قوات الراية الحمراء بالإضافة إلى قوات القبائل التي انضمت إلى النجومي مثل الرباطاب والجعليين والشايقية والشكرية والدناقلة والمحس والرزيقات والهبانية، والمسيرية، وقد كانت أسلحتهم بدائية مقارنةً بأسلحة القوات المصرية، حيث كان الخليفة عبد الله يعتقد بأنّ سلاح القوات المصرية هو نفس السلاح الذي قاتلوا به ضدهم في سنوات المهدية الأولى وقد كانت أعداد القوات التي مع النجومي في دنقلا قبل أن تتحرك منها شمالاً تتكون من ١١٩٧٧ مقاتلاً وعدد الخيول ٨٤٠ أمّا السلاح الأبيض فقد بلغ ٢٨٤١ قطعة سلاح، هذه الأعداد كانت في ٧ ربيع أول ١٣٠٦هـ/نوفمبر١٨٨٩م

كان مولد الأمير عثمان دقنه في سواكن عام ١٨٤٣م ووالده أبو بكر دقنه من أسرة الدقناب الشهيرة وأمه نفيسة ست البنات من البشارياب وهم بطن من بطون قبيلة الهدندوة بشرق السودان

نشأ الامير وسط أسرة تعمل بالتجارة فقد كان أخواه عمر وعلي وابن عمه أحمد يعملون بالتجارة بين سواكن وجده كانت تجارتهم رائجة

واتهموا بالاتجار بالرقيق تحت ستار التجارة الحرة ، و في عام ١٨٧٧م قبض على علي دقنه بالقرب من مرسى الشيخ برغوث و حكم بالسجن على عمر وعثمان وعلي ، ثم صفيت أعمالهم بجده وصودرت ممتلكاتهم وعاد الأخوة الثلاثة إلى سواكن بعد ضياع ما جمعوه عبر السنين

ترك هذا الأمر أثرا عظيماً في نفس عثمان دقنه الأمر الذي حدا به لمحاولة تأليب الناس في سواكن على السلطة التركية القائمة ، غير أن أهل الرأي في سواكن رأوا أن يبعدوا الفتن من مدينتهم التي تعتمد على التجارة التي ترعاها الإدارة القائمة فتكون مجلس من أعيان المدينة و قرر المجلس طرد عثمان دقنه من مدينة سواكن على أثر هذا القرار غادر عثمان دقنه سواكن إلى بربر حيث استقر وتزوج هناك، وبمساعدة أصهاره استطاع عثمان أن يعود إلى التجارة

و في عام ١٨٨٢م رجع إلى سواكن في مهمة تجارية حين حاول أن يقيم تنظيم لمقاومة السلطات القائمة إلا أنه فشل في ذلك الأمر تنامت أنباء المهدي وانتصاراته فتوجه عثمان إلى كردفان وبايع المهدي وتم تعيينه أميراً على شرق السودان

بدأت حملات الامير عثمان دقنة علي سواحل البحر الاحمر بالقضاء علي الحاميات التركية المصرية التي كانت تحت امرة ضباط انجليز في نفس الوقت الذي تحركت فيه حملة الكولونيل وليم هكس قائد اركان الجيش المصري بالسودان غربا لملاقات قوات المهدي في غابة شيكان و قد عمل الامير عثمان علي قطع اي مدد من منافذ البحر الاحمر للكولونيل هكس مما ساعد قوات المهدي في هزيمة هذه الحملة عام ١٨٨٣م معركة شيكان و ابادة كل جنودها في ملحمة علق بالقول عليها اللورد فيتز موريس في جلسة مجلس اللوردات البريطاني نوفمبر ١٨٨٣م لم يفن جيش بهذه الطريقة منذ ان هلك جيش فرعون في البحر الاحمر و في تلك الاثناء كانت جميع مدن الشرق تقع تحت رحمة قوات عثمان دقنة من قبائل الهدندوة الشجعان وقد بلغ عددهم في مطلع العام ١٨٨٤م ١٨٠٠٠ مقاتل منهم حوالي الف من حملة البنادق و الباقي من حملة السيوف المرعبين وقد نالوا اعجاب اعدائهم من الجيش الانجليزي الذين اطلقوا عليهم اسم فزي وزي وقد قام كبلينج شاعر الانجليز الاشهر في ذلك الوقت بتخليد اولئك البواسل في قصيدة عبرت عن نظرة الجنود البريطانيين لأولئك المقاتلين يقول فيها: ارفع اليك التحية يا فزي وزي وانت في ديارك هناك في السودان

انت مع كونك هزيل و جاهل الا انك محارب من الطراز الاول

التحية لك ايها الفزي وزي بشعر رأسك الخشن الاشعث الهائج

ايها العظيم الاسود المعدم لأنك حطمت المربع البريطاني

عندما تعاظمت قوة عثمان دقنة قام الخديوي بتعيين الضابط البريطاني الميجور جنرال فالنتين بيكر ضابط بسلاح الفرسان البريطاني: عمل بتميز في جنوب افريقيا وحرب القرم والحرب البروسية -الفرنسية وعندما وصل الي سواكن في ديسمبر ١٨٨٣م علم بأن عثمان دقنة يحاصر مدينة طوكر فتحرك بيكر بقواته المكونة من الباشبزق والجندرمة المصريين وسلاح الفرسان لفك حصار طوكر في هيئة المربع التكتيكي وهو عبارة عن مربع مفرغ له اربع جوانب تتكون من الجنود الذين يحملون البنادق والمدفعية وعادة ما تجمع المؤن في الداخل هذا التشكيل استخدم بواسطة الجيوش علي مدي قرون والمربع في ذلك الوقت هو التشكيل الاحسن في حالة الدفاع الثابت علي ارض مكشوفة و لكن من الصعب الحفاظ علي تماسكه في حالة الحركة تعامل جنود دقنة بفن المناورة و السحب لقوات بيكر حتي ادخلوهم بقرية تدعي التب وهنالك انهال عليهم فرسان الهدندوة كالسيل وقضوا عليهم في مجزرة رهيبة تمكن بيكر من الهرب مع بعض حرسه الي مدينة سواكن المحصنة وقد ارسل بعد اسبوع للورد كرومر بالقاهرة يقول له لم يحاول

الجنود القتال مطلقا فقد القوا اسلحتهم ولاذوا بالفرار كما تركوا انفسهم ليقتلوا دون مقاومة اكثر من الفين منهم قتلوا والاوربيين ايضا عانوا كثيرا قتل في تلك المعركة ٢٥٠٠ من جنود بيكر وبعد ذلك لم يبقي امام الحاميات المصرية بشرق السودان الا الانسحاب فحاول قائد حامية سنكات محمد توفيق الانسحاب وما ان غادر بجنوده المدينة في صبيحة الثامن من فبراير ١٨٨٤م حتي انقض عليهم الامير عثمان دقنة وجنوده فتكررت مجزرة اخري وبعد اسبوعين من تلك الواقعة استسلمت حامية طوكر لتفادي المزيد من المجازر ولم يبقي الا مدينة سواكن بحاميتها من الضباط البريطانيين ودعم مدفعية الاسطول الملكي البريطاني

كان الرأي العام في بريطانيا و رأي الملكة فكتوريا سيئا في جيش يقوده ضباط بريطانيين و يمزق اربا علي يد قوات المهدي في وسط و غرب السودان و قوات عثمان دقنة بشرق السودان وكانوا يرون ان هذه الهزائم و المجازر قد حطمت سمعة بريطانيا و جيشها و قادتها و مارس الاعلام و الرأي العام الانجليزي ضغطا علي جلادستون رئيس الوزراء لأرسال الجنرال جردون احد اعظم القادة الانجليز في ذلك الوقت ليرد كرامة بريطانيا و عندما رضخ جلادستون ارسلت الملكة عبر سكرتيرها تقول:نحن سعداء جدا بأن قررت حكومتنا اخيرا فعل شئ ارجوا ان لا يكون متأخرا لأنقاذ بعض الارواح خاصة وان سقوط سنكات كان فظيعا

كما ارسل جلاديستون امره للادميرال السير وليم هويت قائد الاسطول البريطاني بالبحر الاحمر بأن يجمع قواته و يرسلهم الي الشاطئ لمحاربة عثمان دقنة

في فبراير١٨٨٤ تم انزال رجال اطقم البحرية البريطانية بسواكن مع تأمين من سفن اسطول البحر الاحمر البريطاني ومدفعيتها ماركة جاتلينج و غاردنر الرشاشة علي رأسهم المدمرة الانجليزية نسر جلالة الملكة و تم اللحاق قوات مارينز انجليزية قادمة من الهند وجنود البحرية المرابطين ببورسعيد و عج البحر بالسفن البريطانية من عدة مستعمرات لأمداد هذه الحملة و من ضمن هذا المدد:

١ كتيبة من البلاك ووتش

٢كتيبة من الهايلاندرز

٣ مشاة المارينز الملكية

٤ فيلق بنادق الملك

٥فيالق اليوركشير و اللانكشير و الايرش

٦ قوة من الخيالة تتبع الفرقة التاسعة عشر هوصار والفرقة العاشرة هوصار

وضمت الحملة ضباط ذوى خبرة واسعة كالفريق سير جيرالد جيرهام حامل وسام فكتوريا كروس و الكولونيل هربرت ستيوارت الذي تميز في قيادة معركة التل الكبير و الكولونيل سير ردفيرز بوللر حاصل علي وسام فكتوريا كروس والكولونيل فردريك برنابي قائد فرسان الحرس الملكي البلوز واللورد شارلس بيريز فورد من قادة الاسطول البحري الملكي وغيرهم من الضباط الانجليز اصحاب الخبرة وتولي القيادة جيرهام الذي حشد كل القوة في ثلاثة ألوية فقط اثنان مشاة وواحد من الخيالة وكان هدف الحملة استعادة كرامة وهيبة الجيش البريطاني و تأديب قوات عثمان دقنة ومن ثم مساعدة حامية الخرطوم التي يقودها الجنرال جوردون في مواجهة جيش المهدي

قاد جراهام قواته خارجا من ميناء ترينكتات الصغير في تشكيل من المربع الانجليزي المعروف الواجهة الامامية من الهايلاندرز والخلفية من البلاك ووتش والواجهة اليسري من المارينز واليوركشير واللانكشير وكونت قوات الايرش وبنادق الملك الواجهة اليمني وارسل خيالة استطلاع من الفرقة العاشرة هوصار بينما ظلت بقية الفرقة العاشرة

هوصار والفرقة التاسعة عشر هوصارمن الخيالة في الخلف وتم تأمين اركان المربع بمدافع جاتلينج وجاردنر الرشاشة ومدافع الميدان ٧ رطل كانت عيون عثمان دقنة تراقب تحرك الجيش البريطاني فأمر قائديه مدني وعبدالله بن الحسن بأحتلال الاطلال القائمة علي قرية التيب واتخاذ مواقع الرماية وكانت قوات عثمان دقنة تملك مدفعا واحدا من ماركة جاتلينج وبعض القطع من مدافع الميدان كروب استولوا عليها من قوات بيكر ومعظم رجاله مسلح ببندقية ماركة رمينجتون-٤٠ بطلقة واحدة عندما ظهر تشكيل جرهام الضخم زاحفا علي انغام موسيقي القرب من الوحدات الاسكتلندية

بدأت المعركة في ظهيرة ٢٩ فبراير ١٨٨٤ بقذيفة مدفع من ناحية قوات دقنة من علي بعد ألف ياردة وحققت اصابات ناجحة في المربع الانجليزي احتمي المشاة البريطانيين بالسواتر الارضية ولم يتقدموا الا بعد ان اسكتت نيران مدفعية دقنة تقدم المربع تحت ساتر من القصف المدفعي ناحية اليسار للالتفاف حول قوات دقنة وهنا تجلت عبقرية عثمان دقنة بأقتحامه للمربع لحظة تحركه عبر جنود له كامنيين داخل الاودية وتلاحموا مع الانجليز في قتال رهيب اما قوات الخيالة من الهوصار فسرعان ما وجدوا انفسهم وسط مقاتلين الهدندوة المختبئين حول الشجيرات و تعرضوا لهجوم شرس من حاملي السيوف و الحراب

وكان بعض من فرسان الهدندوة ينطرحوا ارضا ليسقطوا الاحصنة بضرب سيقانها لم تكن خسارة الانجليز من القتلي في هذه المعركة اكثر من قتلي الهدندوة الا انهم علموا انهم يحاربون مقاتلين من طينة اخري وتكررت المعارك بين الجانبين في سنكات وطماي وغيرها من المعارك تعودت فيها قوات دقنة من اقتحام مربع الجيش البريطاني واعمال القتل والفوضي داخله فبعد معركة التب قال جراهام: مجموعة ضخمة من الوطنيين جاءت كسيل متدفق وهجمت بعزيمة لا تلين علي كتيبة اليوركشيرز واللانكشيرز مما جعل المربع ينهار ويتخبط في فوضي تامة وقد تمكن العدو من الاستيلاء علي مدافع لواء البحرية التي امنها رجالها ووقفوا بجانبها حتي النهاية وكتب قائلا بعد معركة طماي: خسائرنا كانت فادحة فكثير من الرجال الشجعان من الرويال هايلاندرز واليورك واللانكشير قدموا حياتهم لأنقاذ شرف وسمعة وحداتهم وخسائر العدو بلغت أربعة آلاف ما بين قتيل وجريح ولكن السودانيين وكما حدث من قبل انسحبوا بهدوء ونظام جيد مقدمين صورة مشرفة عن أنفسهم و كان من الواضح انهم مصممون علي القتال مرة أخري

لقد نجح عثمان دقنة وجنوده فيما اخفق فيه الفرنسيون والروس علي السواء وهو اختراق المربع الانجليزي وكانت عبقرية دقنة في اختراقه لهذا المربع ترتكز علي المناوشة واستدراج العدو مع الهجوم عليها في

وقت تحرك المربع والتركيز علي الهجوم من المؤخرة مع اقامة الكمائن حول مسار تحرك العدو كل ذلك مع الاعتماد علي سرعة الكر والفر ساعده علي ذلك خفة قواته المهاجمة وبسالتهم وعندما تدرس الان نظرية الاختراق من مؤخرة العدو في كلية الأركان في كامبرلي تذكر تكتيكات الامير دقنة كنموزج في معاركه في التيب وطماي وتوفريك وخور شمبات

لقد استردت قوات جراهام بعضا من مدن الشرق مما اسعد الانجليز والملكة كاسترداد لشرف وسمعة جيشهم ولكن لم يستطع الوصول للخرطوم لأمداد الجنرال جردون وسرعان ما انسحبت قوات جراهام في ابريل ١٨٨٤ للقاهرة واستولي عثمان دقنة علي الشرق مجددا وارسل للمهدي قائلا:لقد قذف الله الرعب في قلوب الانجليز فذهبوا

سرعان ما حاصرت قوات المهدي الجنرال جردون بالخرطوم وقامت بريطانية بأرسال حملة اخري عن طريق مصر لأنقاذ جردون وذلك بعد ضغط شديد من الملكة نفسها علي جلاديستون الذي كان لا يرغب في الغوص اكثر من ذلك في مستنقع السودان بل صرح قائلا في مجلس العموم : ان ارسال قوات الي السودان سيكون بمثابة حرب من غزاة علي شعب يناضل لينال حريته و يكافح بحق ليكون حرا فأرسلت الملكة

فكتوريا تقرع رئيس وزراءها بمذكرة كتبها سكرتيرها الخاص:ان جلالة الملكة منفعلة جدا بخصوص السودان وترغب ان تقول انها تعتقد ان لطمة قوية يجب ان تسدد لتقنع اولئك المسلمين بأنهم لم يهزمونا انهم همج ولن يستطيعوا الوقوف في وجه قوات نظامية جيدة التسليح التدريب ان الملكة ترتعد خوفا علي سلامة الجنرال جردون اذا ما اصابه اي شئ فالنتيجة ستكون مروعة وازداد الضغط علي جلادستون بأرسال الملكة له تقول: بحق شرف الحكومة و الامة يجب عدم التخلي عن جردون كما اخبره اللورد هارتنجتون وزير الحربية بأنه وعد الشعب بأنقاذ جردون و ان شرفه الشخصي و وفاءه بالوعد قد وضعا علي المحك فما كان من عثمان دقنة الا ان يشارك في حرب جديدة ضد الانجليز بقيادة لورد وليسلي مرة اخري في شمال السودان بالقرب من عطبرة حتي يقطع عليهم الطريق للوصول للخرطوم المحاصرة وسرعان ما سقطت الخرطوم في يد جيوش المهدية في يناير ١٨٨٥م وقتل الجنرال جوردون لم تستطع حملة الانقاذ الوصول في الوقت المناسب وقتل العديد من قادتها خلال تحركها نحو الخرطوم فعادت ادراجها الي بريطانيا

اصبح السودان بعد ذلك دولة مستقلة ولم تنسي بريطانيا تمرغ وجهها في التراب السوداني فعادت بعد اربعة عشر عاما بجيوش جرارة بقيادة الجنرال كتشنر وحارب السودانييون كما عرف عنهم بكل شجاعة ووقف

الامير عثمان دقنة بقواتة يشد من أزر جيوش المهدية بقيادة الخليفة عبد الله التعايشي وممات اغلب المقاتلين السودانيين في معارك مثل كرري وام دبيكرات بعد ان واجهوا اسلحة رشاشة لم يعتادوها حصدتهم حصدا فوقع عشرات الالاف قتلي بكل شرف وشجاعة حتي قال عنهم رئيس الوزراء البريطاني تشرشل الذي كان اصغر ضابط في هذه الحملة في كتابه عن تلك المعارك والمسمي حرب النهر قال: انهم اشجع من مشي علي وجه الارض كانت معركة كرري هي بداية لأستعمار انجلترا للسودان قال عنها جورج ستيفن في كتابه مع كتشنر الي الخرطوم : لم تكن معركة انما كانت مزبحة كما قال فيه ايضا: لقد كان رجالنا رائعين لكن السودانيين فاقوا حد الروعة انه لأضخم واعظم واشجع جيش قاتل ضدنا ابدا الخسارة الوحيدة الملموسة للجيش الانجليزي كان من خلال كمين علي حافة النهر اقامه مقاتلي عثمان دقنة لسلاح الفرسان البريطاني فاوقعوا فيهم قتلي وبعد سنوات من تلك الواقعة سأل تشرشل أحد قادة السفن المدرعة كابتن بيتي الذي شارك في معركة كرري

فأجابه لقد رأيت من ظهر السفينة كمين عثمان دقنة ولم افهم غرضه الي ان رايتكم تندفعون نحوه وخفت ان اطلقت نيران المدافع الرشاشة ان تصيبكم فسأله تشرشل:

كيف كان منظرنا ؟

اجاب كابتن بتي: اه يا صديقي لقد كنتم مثل الارز عندما يوضع علي الزيت الحار وبعد المعركة النهائية في ام دبيكرات ١٨٨٩م واستشهاد الخليفة عبد الله قائد الدولة الذي وجد جالسا علي سجادته في ارض المعركة متوجها نحو القبلة وجسده ممزق بالرصاص هو وامراءه الأساسيين

هرب الامير عثمان دقنة نحو الشرق وبعث إلى الهدندوة في طوكر ليعدوا له العدة لتهريبه إلى الحجاز وأعدوا ثلاث سنابك لنقل الأمير واحدة في ترنكتات والثانية في هيدوب والثالثة في شمال عقيق وصل خبر وجود الأمير عثمان دقنه في الشرق للأنجليز الذين اعلنوا عن جائزة ضخمة لمن يدلي بمكانه وعن طريق وشاية اسر الأمير ونقل مثقلا بالحديد إلى سواكن في عام ١٩٠٠م و سارع المستعمر بنقل الأمير إلى سجن رشيد في ديسمبر ١٩٠٨ نقل الأمير إلى سجن وادي حلفا في عام ١٩٢٣م التمس عثمان دقنه من المستعمرين السماح له بأداء فريضة الحج فرفض طلب دقنه بطريقة تعسفية، وتسرب الخبر إلى حزب الأحرار البريطاني الذي شنت صحفه حملة عنيفة ضد الحكومة، وتحت وطأة حملة حزب الأحرار سمحت الحكومة البريطانية لعثمان دقنه بالحج في

العام ١٩٢٤موصل الأمير عثمان دقنه سواكن وهو في طريقه إلى الحج فاستقبله الأرتيقه والسواكنيه بحفاوة بالـغة ورتبوا له لـقاء جامع للترحيب به ومن ثم تحلقوا في حلقة كبيره حول الأمير وهم يتلو ايات من القرآن الكريم ، وأغرورقت الدموع في عيني الأمير وهو يرى تلك الجموع الحبيبه ، ظل بقية حياته صائما نهاره يفطر على اللبن والتمر وقائماً ليله يستريح من القيام بتلاوة القرآن ليعاود قيامه وقد توقف جورج الخامس ملك بريطانيا في سواكن اثناء رحلته الي الهند لرؤية الرجل القابع في سجن البلدة معتصما بصمت عميق وعندما وصل الامبراطور الي سواكن رفض دقنة مقابلته مما اضطر الملك للذهاب الي السجن بنفسه وسط ذهول كبار مرافقيه وفي السجن أيضا رفض اسد الشرق الخروج من زنزانته لمقابة الملك عندئذ اصر الملك علي مقابلة الاسير وعلي الذهاب بنفسه الي الزنزانة التي تحوي هذا البطل الذي خلد سيرته لدي الاعداء قبل الاصدقاء الا ان عثمان دقنة ادار للملك ظهره منكبا علي مصحفه يقراء عندئذ اخرج الملك سيفه وحيا البطل الاسير ثم خرج وفي ليلة السابع عشر من ديسمبر١٩٢٧ توفي عثمان دقنه في هدوء وبعد جنازة صامتة وحزينة دفن في مقابر بهلول بوادي حلفا وعلى أثر تهجير مواطني وادي حلفا غرقت بسبب بناء السد العالي بمصر تم نقل جثته الطاهرة عام ١٩٦٤ ليدفن مجددا بمدينة اركويت علي سفوح جبال البحر الاحمر التي شهدت له صولات وجولات ضد المستعمر